زمان

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

العدد (1701) السنة السابعة
الاثنين (18) كانون الثاني 2010

2

الحسني وذكريات 56 سنة من عمره

12

احداث تأريخية في الذاكرة العراقية

مكذا سقطت بغداد تحت الاحتلال البريطاني ثانية

سوق في مدينة العمارة 1957
تصوير ناظم رمزي

ذكريات 56 سنة من عمره

رشيد الرماحي
تصوير/رشيد مصلح

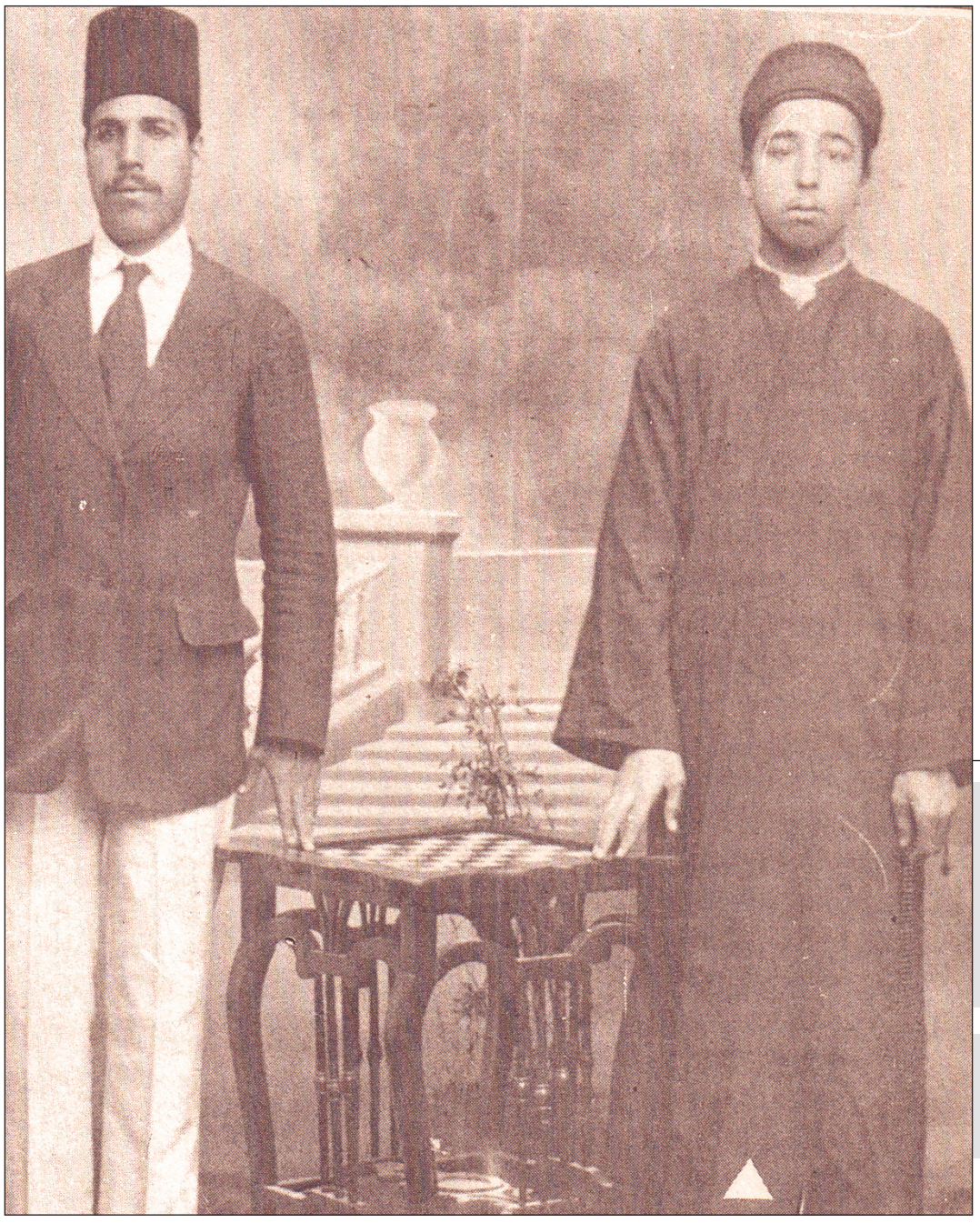

صورة نادرة للحسني

كتبت تاريخ الوزارات العراقية بعد فوز مرشح المعارضة على الحكومة وخلال اربعين سنة قامت في العراق (59) وزارة شارك فيها (175) كهلاً وشاباً!

وصيتي: مكتبتي ووثائقي تهدى لاحدى الجامعات

استعاد كبير مؤرخي تاريخ العراق السياسي والاجتماعي والاقتصادي السيد عبد الرزاق الحسني ذكريات ست وخمسين سنة من عمره، المديد وهو يطل على الثمانين الان، راقدا في فراشه منذ عشرة اشهر بعد ان تعرض لحادث دعس توقفت على اثره يده اليسرى عن العمل فيما ظلت ساقه اليسرى ملفوفة بالجبس وهي عاطلة عن الحركة تماماً..

سنوات حافلة

×لقد كانت حصيلة الست والخمسين سنة من حياة الحسني اصدار اكثر من ثلاثين كتابا تجاوزت باجزائها، الثمانمئة ، اشهرها (تاريخ الوزارات العراقية) بطبعته الخامسة المنقحة في عشرة اجزاء، ولكنه وهو على فراش المرض انجز كتابه الجديد (تاريخ الاحزاب العراقية منذ عام ١٩٠٨ حتى ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨).

واذا كان المرض يعطل طاقات البعض من الناس، فأن الحسني كما قال لي استمد من مرضه قوة استثنائية دفعته للمزيد من العطاء ما دام قلمه لم يجف بعد ومواهبه لم تتوقف، وطموحه لم يتحقق حتى الان:

×لقد كرمُ الحسني وهو في محنته ومرضه حيث أرسل لاستكمال علاجه في بلغاريا.

×ولعل السؤال الذي يطرح نفسه من اين نبدأ مع الحسني؟

لقد اختار هو فترة مرضه بداية للحوار والتحاور وهو يقول:

–ان حادث الدعس الذي تعرضت له في ١٠ ايلول عام ١٩٧٨ استقبلته بهدوء، وأنا اردد الآية الكريمة (وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم، والله اعلم وانتم لاتعلمون)..

وخلال هذه الفترة لم افارق الكتاب والكتابة بالرغم من ان يدي اليسرى معطلة وساقي مجبرة ، ولما ذهبت الى بلغاريا لأعالج في مستشفياتها كان احد الاطباء الكبار يراجعني بين حين وآخر لمعرفة سير المرض وعادة كان يأتي معه مساعدوه من الاطباء والممرضات فالتفت ذات يوم اليهم قائلاً: (لاتسموني (بروفسور) ، انظروا الى هذا الشيخ، فهو البروفيسور له هنا اكثر من اربعين يوما لم ادخل عليه مرة الا ووجدت القلم والورقة والنظارة فوق عينيه وهو يكتب). اما المدة التي قضيتها في مستشفى الطوارئ وقد تجاوزت الاربعة اشهر فكانت كتبي تحيط بي احاطة السوار بالمعصم

وهكذا هو الحال في بيتي الان، لم افارق الكتابة لحظة واحدة لقد انجزت تبييض كتابي الجديد (تاريخ الاحزاب العراقية منذ عام ١٩٠٨ حتى ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨). وقد حققت في كتبي انجازات عظيمة ومكاسب كثيرة لصالح المواطنين فقد اضفت الى الكتابة بحثاً مفصلاً مطولاً عنه وان كان في سنيه الاولى حزبا سريا، وكتابي لا يتناول الاحزاب السرية وهو جاهز الان للطبع فاذا من الله علي بالشفاء فسأطبعه هذا الصيف، والا فمتروك امره ..! هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فقد صدرت خلال هذه الفترة الطبعة الخامسة من كتابي (تاريخ الوزارات العراقية) المطبوع في مطابع لبنان باجزائه العشرة، ولكن بعد الطبع عثرت على وثائق جديدة في غاية الاهمية كتب عنها بعض المؤرخين ونشرت (آفاق عربية) قسما منها، وهذا مما جعلني اعد العدة لطبعه من جديد.

مرشح المعارضة وراء تاريخ الوزارات!

×والتقطت السؤال...على ذكرنا تاريخ الوزارات متى فكرت به، وبتدوين الاحداث التي مرت بالعراق منذ تلك الفترة؟

–في البدء لا ادري ما سر اهتمامي بالتاريخ الذي يتناول الحدث بالسنة الهجرية والميلادية بما فيها الشهر واليوم وربما

الساعة لكنني اتذكر ان (تاريخ الوزارات العراقية) شرعت في كتابته سنة ١٩٢٥ او عام ١٩٢٦ على وجه التحديد، يومها كان رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون، الذي قرر ان ينتخب مجلس النواب حكمت سليمان رئيسا له، وكانت في المجلس معارضة قررت ترشيح رشيد عالي الكيلاني ففاز مرشح المعارضة على مرشح الحكومة، وكان على الوزارة ان تستقيل لأنها خذلت من قبل المجلس، فاستهوتني هذه الحكاية وما رافقها من ملابسات حيث قررت البدء بكتابة (تاريخ الوزارات العراقية منذ ذلك اليوم حتى الان).

×ولكنك توقفت عند قيام ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨؟

–هذا صحيح ، فقد نشرت كل ما يتعلق بالعهد الملكي الزائل وما رافق ذلك من اسرار وما تبقى عندي هو قيد الدرس والتشذيب واذا امد الله في عمري وتغلبت على مرضي فلابد من ان يرى النور ما امتلكه حتماً!

×نعود الى تاريخ الوزارات العراقية، ومعظم الكتب التي اصدرتها وهي خالية من المنهج العلمي الواضح، برغم ذلك اين نضعه بين كتب التاريخ وما هو تقييمك له؟

–برغم كل ما يقال تظل كتبي هي الاساس، وبالتالي فأنها ليست عادية ، معظمها او كلها اصبحت مصادر تخص العراق قديما وحديثا وعلى هذا الاساس فأنها ليست كبقية الكتب التي تتداولها الايدي او متيسر وجودها في المكتبات ، وما تزال بعض الدوائر تحتاج للبعض منها فيأتون الى بيتي ليأخذوا ما يحتاجون اليه، وعلى ذكر (تاريخ الوزارات العراقية) باجزائه العشرة وطبعته الجديدة الموسعة والمزيدة. يتناول في واقع حال تاريخ العراق السياسي الحديث خلال اربعين سنة. ويضع بين يدي قارئه اهم المعاهدات والاتفاقات التي عقدتها الوزارات في مختلف الظروف وشتى المناسبات ، ويصف الاحداث العامة التي مر بها العراق في بحر السنوات الاربعين المذكورة وصفا دقيقا مؤيدا بالوثائق ، ومدعما بالمستندات لايفارق صغيرة او كبيرة الا ذكرها، فهو – والحالة هذه –كتاب كبير الاهمية يؤرخ لفترة مهمة من حياتنا بدأت في ٢٥ تشرين الاول عام ١٩٢٠ (وهو تاريخ تكون اول وزارة في البلاد) و١٤ تموز عام ١٩٥٨ (وهو التاريخ الذي انتهى فيه نظام الحكم الملكي في العراق) قامت خلالها تسع وخمسون وزارة، اشترك فيها مئة وخمسة وسبعون وزيرا بين كهل وشاب، وحدثت

برغم كل ما يقال تظل كتبي هي الاساس، وبالتالي فأنها ليست عادية ، معظمها او كلها اصبحت مصادر تخص العراق قديما وحديثا وعلى هذا الاساس فأنها ليست كبقية الكتب التي تتداولها الايدي او متيسر وجودها في المكتبات ، وما تزال بعض الدوائر تحتاج للبعض منها فيأتون الى بيتي ليأخذوا ما يحتاجون اليه، وعلى ذكر (تاريخ الوزارات العراقية) باجزائه العشرة وطبعته الجديدة الموسعة والمزيدة

خلال حكمهم ثورات موضعية عديدة، وانقلابات عسكرية مختلفة، كما عقد خلالها العديد من المعاهدات السياسية والتجارية والعسكرية الى جانب الكثير من اتفاقات الحدود والثقافة والاقتصاد.

كتبي...اعز ما املك في حياتي

×يقال ان من يتصدى لكتابة التاريخ ويمارس الكتابة عموماً لابد من ان تواجهه صعوبات، ويتعرض للمضايقات، ماذا تتذكر خلال رحلتك الطويلة هذه مع التاريخ؟

–كتبي ومكتبتي ووثائقي هي اعز ما املك في حياتي ، واخشى ما اخشاه بعد وفاتي ان تباع مكتبتي في سوق الشورجة بمبلغ (٣٠٠) دينار، لهذا كتبت وصيتي منذ الان طلبت فيها ان تهدى مكتبتي وما املك من وثائق الى احدى الجامعات ليستفيد منها المعنيون والمتتبعون ولان فيها نفائس لاتتعلق بالكتب فقط ، وفي هذا السياق اذكر ان الحكومة التي جاءت في اعقاب ثورة مايس سنة ١٩٤١ قررت ابعادي الى معتقل الفاو كغيري من الوطنيين السياسيين وسائر المواطنين، ومع ابعادي صودرت كتبي واهم ما كان فيها من وثائق لا اعرف حتى الان ماذا جرى عليها، ومن استفاد منها؟

×اذن لدي سؤال آخر.. من تتوسمون ان يكون خليفة الحسني في تدوين التاريخ، او الاستفادة من مكتبتك وما جمعته من وثائق في الاقل؟

–لا احد...اقولها بالفم المليان واتمثل قول الشاعر الازري:

ممن تحدر من صلبي غسلت يدي
فكيف ارجو الوفا من اصاحبه!

مرضي..حال دون مشيي كل يوم

×قلت للحسني.. انت راقد امامي الان، ليس باستطاعتك المشي حتى الى مكتبتك وهي على بعد خطوات منك، لابد في المرض من ان يفتقد الانسان متعة لذيذة كان يمارسها، او يختبر مدى الوفاء، وفاء الناس، والاصدقاء في الاقل ماذا تقول؟ قال لي:

–قلت لك انني لم افتقد شيئاً باستثناء متعة المشي يوميا وقد اعتدت عليها منذ صغري..ان معدل سيري على الاقدام يوميا يتراوح ما بين ٨– ١٠ كيلو مترات ، وكل الناس يعرفون ان الحسني يمشي يوميا وعلى حافة النهر من الكرادة الى مركز بغداد ذهابا وايابا وكتابي بيدي اقرأ فيه فاذا استوقفتني فكرة او خاطرة، توقفت قليلا لاكتبها في دفتر احمله معي، هذه المتعة امارسها صيفا من الساعة الخامسة عصرا، وشتاء من الساعة الثالثة بعد الظهر افتقدتها فعلا بسبب كسر ساقي ويدي، الاغرب من هذا انني اذهب الى الفراش في الساعة الثامنة من مساء كل يوم لأفيق في الرابعة فجرا وعندها ابدأ العمل والكتابة حتى يحين موعد الفطور في السابعة صباحا ، اما عن الوفاء فقد كانت فترة مكوثي في المستشفى بمثابة اختبار لي، فلم اكن اقدر مركزي الاجتماعي الا خلال تلك الفترة حين التقيت بوجوه اعرفها، واخرى لم يخطر ببالي انني سألتقيها يوما من الايام اقول ذلك للحق والانصاف!

×ثم التفت الى الحسني وبدأ هو يحاورني قائلاً: هل تريد التعرف على الحسني عن قرب اقول لك..انا لم ادخن يوما وقد تجاوزت السبعين وعلى ابواب الثمانين، لم اجلس في مقهى ولاشاهدت السينما في حياتي الا مرة واحدة، لبضع دقائق ، لم ار برامج التلفزيون منذ عرفناه حتى الان لكنني اقرأ الصحف واستمع الى الاذاعات احيانا:

مطلبان تسجلهما الف باء، للحسني:

×وهو يختتم حديثه معي قال الحسني: انا في نفسي امران اود ان اسجلهما عبر (الف باء) الاول اني كنت مديرا في ديوان مجلس الوزراء لمدة ١٤ سنة مستمرة، وكانت تصدر لي بعض الرسائل والكتب بين حين وآخر، وعندما يصل نوري السعيد الى مكتبه كان يأتي الى غرفتي ليدور بيني وبينه الحوار التالي:

×عبد الرزاق.. لقد اصدرت كتابا، لم تهدني نسخة منه؟ فاجيبه:

–ان الكتاب يباع في الاسواق! فيسألني مرة اخرى:

×هل ساعدتك وزارة الارشاد؟ اقول له:

– كلا.

فيوعز بالهاتف من غرفته الى الوزير برهان باشا اعيان الذي يبعث لي بعد نصف ساعة (٥) دنانير يطلب لقاءها عشرين كتابا من مؤلفي الجديد.

جريدة البلد 1965

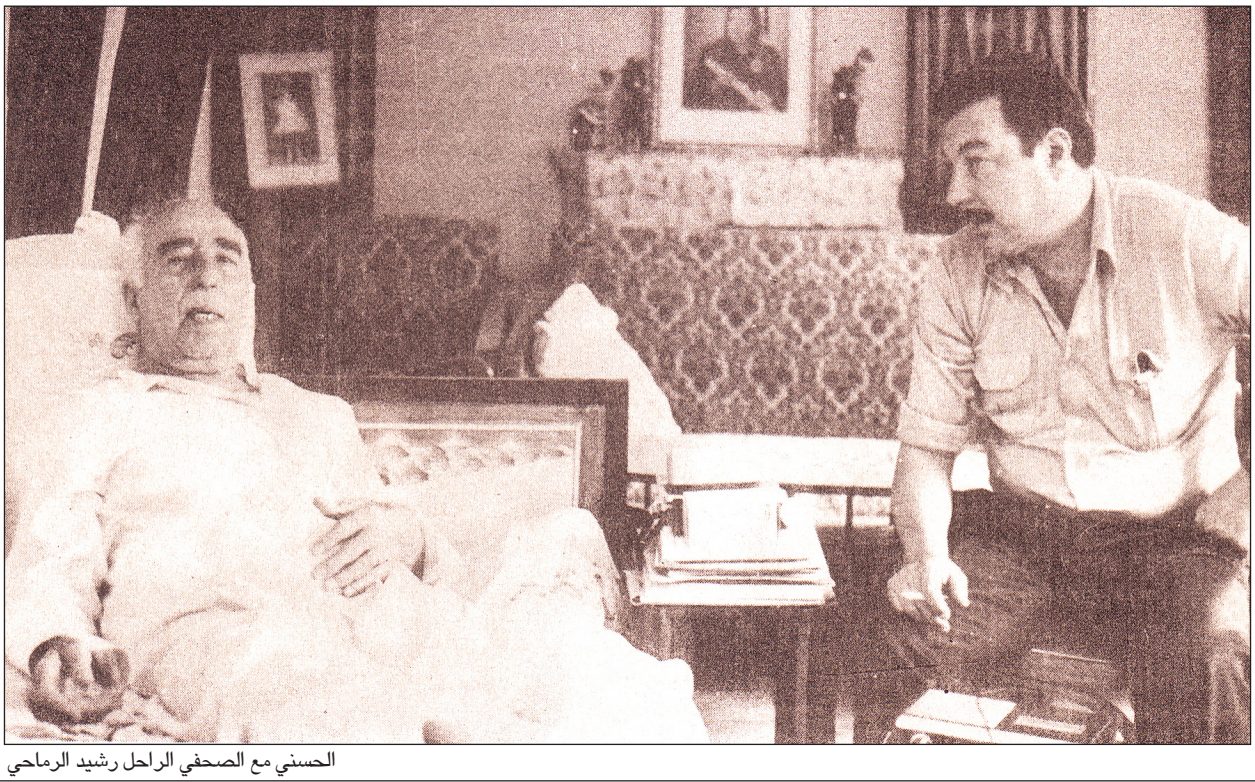

الحسني مع الصحفي الراحل رشيد الرماحي

قبل قرن من الزمن

الرصافي يسجل ذكرياته ومشاهداته عن بغداد

عبد الحميد الرشودي

سارة الزنكينة

ناظم باشا

2 - الجسر

كان يوصل بين الجانبين من بغداد جسر من الخشب مقام على شريعة جامع الاصفية محل جسر المأمون تقريباً مبنى على سفن خشبية مربوطة بعضها ببعض باعمدة متينة من الخشب ومقام على الاعمدة الارضية وقد فرشوا على الارضية البواري وفوقها طبقة من القير لاجل ان لايسيل بتأثير الحرارة ونشروا عليه روث الخيل (الفشقي) والجسر مربوط من الجهتين بسلاسل حديدية وحبال لف غلاظ.

×وكان له فتحة تفتح وتغلق حسب الحاجة لمرور وسائل المواصلات النهرية.. والمرور على الجسر في العهد العثماني قليل للغاية بحيث ان بعض الصيادين كان ينصب شبكة لصيد العصافير ويسمونها انذاك جزوة لأن العصافير كانت تتجمع بكثرة فوق ارض الجسر بسبب الروث، وكان بيع العصافير مألوفاً فالفقراء يشترونها ويأكلونها بدلاً من اللحم.

×وكانت مياه دجلة في موسم الفيضان أو عند حصول العواصف تجرف الجسر أو بعض اقسامه فينقطع الاتصال بين الجانبين وكان القسم المنجرف ينساب مع المياه الى مسافات بعيدة حتى يصل سلمان باك او الصويرة او العزيزية وهناك يربطون الجسر ويبلغون الحكومة ببغداد فكانت ترسل لجلبه طابور عسكر يسحبونه بالحبال مشيا على الجرف.

×ولما تأسست شركة اللنج كانت الحكومة تستعين بها فترسل بعض مراكبها وتأتي به الى بغداد.. ولاجل تسهيل مهمة ارجاع الجسر كانت الحكومة ترسل مع المركب البخاري جوقا موسيقيا اهلياً من حملة الطبل والنقاوة والصناجة لكي يتحمس العمال على العمل عدا الطلقات النارية التي كانت تطلقها الجاندرمة ويملأون صفاء الجو ازيزاً والهوسات الشعبية التي يقيمها العمال فكان ارجاع الجسر من المشاهد المشهودة عند اهالي بغداد.

×وحيث ان الجسر مثبت على سفن خشبية لذلك كان الخلل يسرع اليه فكان الولاة يجدونه ويتخذون من ذلك دعاية واسعة لعهدهم.. واتخطر – وانا صغير – ان احد الولاة تزوج امرأة من تبة الكاور وبنى جسرا ولما اكمله نقل فاخفى امر نقله حتى افتتح الجسر وكانت زوجته جالسة فوق سطح جامع الاصفية تشهد حفلة الافتتاح مع جمهرة من اترابها وقد نظم اهالي بغداد غناء بحقها لا اتذكره الان بلفظه وكان معناه انها جاءت شؤماً على زوجها فنقل.

3-نظام باشا:

×ومن المشاهد والاحتفالات التي اتذكرها المهرجان الذي اقامه ناظم باشا في الساحة التي امام الكرنتينة – الثكنة الشمالية – اذ جمع المحلات فخرجوا الى الساحة يحملون الاعلام والسلاح مع شيوخ القبائل وقاموا باستعراض امام الوالي ناظم باشا وكا جالسا على كرسي فوق منصة عالية، وفي هذا المهرجان تخاصم اهالي طرفين وقتل شخصان.

×ولم يكن التجنيد معروفاً من قبل ولكن في ايام مدحة باشا انشئت القرعة وكانت مدتها اربع سنين ففي كل عام يأتي المكلف الى دائرة القرعة ويقترع، وكانت القرعة تتألف من اوراق سود وبيض موضوعة في كيس فاذا خرجت ورقة بيضاء يعفى من الجندية واذا خرجت سوداء اخذ لخدمة الرديف وكانت المدة اربع سنوات واذا هرب تضاعفت الخدمة وتسمى خدمة زجرية..

واول من الغى الرديف ناظم باشا واقام محله النظام العسكري الحديث واقام معسكره في المكان الذي فيه معسكر الرشيد الان وجمع مقاتلة وخيالة العشائر.. وفي عهده عم العراق أمن لم يشهده منذ قرون، وحار الناس في امر هذا الوالي مع انه لم يقتل ولم يصلب احدا ولكنه عمل صلابتين من الخشب وابقاهما في باب القلعة وكانت الناس تخافه وتهابه، وهو الذي بنى مدخل السراي الموجود على حاله الان وهو الذي فتح شارع الرشيد اعتبارا من عقد الخناق الى شريعة السنك الى الباب الشرقي وهدم القنصلية البريطانية وكان عازماً على القضاء على النفوذ الانكليزي في العراق كافة ولاسيما في بغداد حيث كان لهم جنود من الهنود ومراكب حربية وقد تمكن الانكليز بمكرهم ودهائهم من التأثير على الباب العالي وعزله واقصائه عن العراق والحادث الذي استغلوه وجعلوه اساساً هو ان الوالي احب المرأة الارمنية الثرية سارة المعروفة بالزنكينة وهام بها ولأجل ان يحظى بها رشح رجلا أرمنياً كان يشتغل بأمرته للزواج منها فعرفت سارة المكيدة ورفضت وهربت الى البصرة واستعانت بالقنصل البريطاني فعمل مع حكومته لأجل ابعاد ناظم باشا لما شعر منه عزيمة صادقة في اظهار هيبة الحكومة العثمانية والقضاء على النفوذ الاجنبي..

تعليق(١) ان الاوصاف التي اطلقها الرصافي على الوالي صاحب الجسر تنطبق على الوالي نامق باشا فقد كان قد تزوج عاتكة خاتون بنت السيد نعمان خير الدين الالوسي وقد تم عزله يوم نصب الجسر وقد قال فيه احد الشعراء معرضاً بعزله في ٢٦/ جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ هـ/١٩٠٢.

قوموا بنا يابني الزوراء نبتهل/
فعن قريب جميع الخزي يرتحل
الله اكبر زال الشك وارتحلت/
عنا الهموم وزال الخوف والوجل
قد جاءكم خير فأل من مؤرخه/
بشرى فنامق بعد الجسر ينعزل

٢-المشهور المتواتر الذي فتح شارع الرشيد هو القائد خليل باشا سنة ١٩١٦ ،اما ناظم فقد فتح شارع النهر الذي أتى على القنصلية البريطانية فشطرها شطرين.

ذكريات اذاعية

كيف القى رئيس الوزراء خطابه عبر المذياع؟

محمد علي كريم

×بعد ان انتهت ثورة مايس عام ١٩٤١ واضطرار المرحوم رشيد عالي الكيلاني الى ترك العراق برفقة بعض اعضاء وزارته ودخول القوات البريطانية العراق، عاد عبد الاله الوصي على العرش يومذاك الى بغداد وفي اول حزيران اسند تأليف الوزارة الجديدة التي تولت مقاليد الحكم الى جميل المدفعي فألفها على النحو المعروف!

×وكان من الطبيعي ان يتوجه الى الشعب العراقي بخطاب يشرح له فيه ملابسات وظروف اسناد تأليف الوزارة له وقد تقرر ان يلقي خطابه هذا من دار الاذاعة العراقية عصر يوم ٢ حزيران، فاتخذ المسؤولون في الاذاعة الترتيبات والاحتياطات اللازمة لبث الخطاب الذي سيلقيه رئيس الوزراء!

×وعندما وصل رئيس الوزراء الى مبنى الاذاعة استراح بعض الوقت وفي الموعد المحدد، دخل الاستوديو لألقاء خطابه وكان معه المهندس المرحوم عزت الكرخي فاراد ان يوضح لرئيس الوزراء ان (المايكروفون) الموضوع على طاولة المتحدثين والتي جلس عليها رئيس الوزراء حساس جدا وذو اسلاك رقيقة جدا بحيث تنقطع مباشرة من ادنى لمسة للمايكروفون ورجا رئيس الوزراء ان لايلمس (المايكروفون) ويتركه في مكانه على الطاولة وعلى البعد المقرر من المتحدث!

×وعندما بدأ رئيس الوزراء خطابه قائلاً: ايها الشعب الكريم، انقطع صوته ولم يسمع المستمعون الذين كانوا يتحلقون حول اجهزة الراديو لأهمية المناسبة أي صوت رئيس الوزراء ولم يستغرق ذلك طويلا فقد عاد صوته الى الاذاعة واستمع المواطنون الى بقية الخطاب ولم يعرفوا اسباب هذا الانقطاع المفاجئ.

×اما الذي حدث وأدى الى انقطاع البث بعض الوقت فهو كالتالي:

عندما ابتدأ رئيس الوزراء خطابه مد يده وبدون ان يشعر وسحب قاعدة المايكروفون نحوه قليلا فارتج المايكروفون وكانت هذه الرجة البسيطة سبباً كافيا لانقطاع بعض اسلاكه الرقيقة فانقطع الصوت وفطن المهندسون الى ذلك فهرعوا الى ابدال المايكروفون باخر وعلى وجه السرعة ولما كان المهندس المسؤول عن ذاك هو المرحوم عزت الكرخي فقد اتجهت اليه الظنون وألبسوه تهمة التخريب.

وكان ان ورد اسمه ضمن المعتقلين ايام الحرب العالمية الثانية!

مجلة الاذاعة والتلفزيون
1975

ذكريات (ايام زمان)

قصة تأليف وإقالة (3) وزارات خلال أشهر

يكتبها /عبد القادر البراك

عباس مهدي

محمد علي محمود

جميل المدفعي

مصطفى العمري

كانت استقالة اربعة وزراء من وزارة حكمة سليمان احتجاجاً على انحراف سياستها الداخلية عما كان مقررا ان تسير عليه وفقا للبيانات التي صدرت عن اقطابها بعد اضطلاعها بالحكم فكانت هذه الاستقالة اهم ضربة تلقتها الوزارة السليمانية من داخلها فبالرغم من سكوت القانون الاساس عن معالجة الوضع الوزاري في حالة استقالة اكثرية اعضاء الوزارة وعدم نصه على استقالة الوزارة جميعها، فان احد اقطاب المعارضة في مجلس الاعيان وكان ناجي السويدي الذي كان يلقب (مفتي الدستور) قال ان الوزارة يجب ان تخضع للاكثرية ، ولما كانت هذه الاكثرية قد استقالت فيترتب على ذلك استقالة الوزارة!

×ويبدو ان حكمة سليمان قد استطاع ان يتغلب على المؤامرة الداخلية التي كادت تطيح بوزارته بأن سد الشواغر باعضاء جدد لأرضاء الاطراف المعارضة لوزارته وبصورة خاصة المعارضين لبكر صدقي فجاء بـ (علي محمود الشيخ علي) باعتباره من اعوان البقية الباقية من كتلة ياسين الهاشمي.

حكمة سليمان تعرض الى مؤامرة من الداخل!

وجميل المدفعي تعمد الشدة فوقع في المصيدة

وعندها اشهر السعيد سيف الانتقام بوجه الجميع!

بالرغم من ان الوزارة السليمانية في مطلع حكمها كادت تلغي وظيفته في محكمة التمييز باعتبار ان تعيينه فيها تم في عهد الهاشمي ولم يكن قانونياً وقيل ان اختيار علي محمود جاء لارضاء هذه الجهة المعارضة من جهة ولكون هذا الاختيار لايغضب بكر صدقي لوجود علاقة عائلية بعيدة تربطه بعلي محمود!

×وما قيل عن هذا الوزير يصح قوله على محمد علي محمود الذي كان محسوباً على اعوان الهاشمي واشترك عباس مهدي وجعفر حمدي على اساس تعديل الاوضاع الداخلية التي جرت في عهد الوزارة، واعقب ذلك ادخال مصطفى العمري وزيرا للداخلية لضمان تأييد بعض القادة العسكريين المناهضين لبكر صدقي وكان من المقرر ان تسند وزارة الدفاع الى جميل المدفعي بعد مقتل بكر صدقي ليحل محل عبد اللطيف نوري وزير الدفاع الذي تم اختياره لرئاسة الاركان ولكن كل التعديلات وغيرها من الاجراءات لم تستطع ان تمد من عمر الوزارة اكثر من شهرين حيث تم اغتيال بكر صدقي وحصلت اعتصامات ضد الوزارة فاضطرت على اثرها الى الاستقالة.

×ولكن البلاط اسرع بقبول الاستقالة قبل تولي جميل المدفعي حقيبة وزارة الدفاع بل يوم وصوله الى بغداد فسارع البلاط الى استدعائه مما اشعر حكمة سليمان بعدم امكان استمراره ولكنه نصح البلاط بان يسند الوزارة للمدفعي لان مجيء نوري السعيد الى الحكم سيعرض البلاط وبعض الساسة الى خطر الانتقام منهم باعتبارهم المسؤولين عن الانقلاب الذي ادى الى مقتل صهره جعفر العسكري وابعاده الى خارج العراق، وقد ايد بعض الساسة وجهة نظر حكمة سليمان في النصح بعدم اسناد الحكم الى نوري السعيد وتكليف المدفعي بذلك على اساس انه المؤهل لاعادة الاستقرار الى البلاد دون اللجوء الى العنف والشدة التي تكون ضارة في بعض الاحيان!

×ولكن نوري السعيد الذي كان مبعدا الى القاهرة ونشاطه المميز فيها وكذلك اعضاء وزارة الهاشمي الباقين الذين عادوا الى بغداد واصلوا تآمرهم على وزارة المدفعي بعد تشكيلها ما اضطره الى اتباع سياسة الشدة معهم على نحو ما اشرنا اليه في حلقة سابقة ، وجاء تحذير حكمة سليمان في محله لكنه هو نفسه لم يلتزم الحذر ما قد يتعرض له من الانتقام فيما لو جاء السعيد للحكم، فقد بعث اليه الاخير يطمئنه بأنه لايكن له أي شر لأنه يعرف انه غير مسؤول المسؤولية الكاملة عما وقع له ولصهره!

×الا ان نوري لم يلتزم بتعهداته فما ان جاء الى الحكم بعد استقالة وزارة المدفعي حتى لفق لحكمة سليمان تهمة المؤامرة على نظام الحكم وتألف مجلس عرفي لمحاكمته والحكم باعدامه على النحو الذي فصلته كتب التاريخ التي تعرضت لاحداث تلك الفترة، ومن الطرائف التي حدثني عنه حكمة سليمان ان احد الشهود ضده كان قصير النظر فلم يشخصه ووصف جدار البيت الذي كان يسكنه في الصليخ بأنه من السمنت والحال انه كان من اللبن وما يقال طعنا في هذا الشاهد ينطبق على شهادة الاخرين!

×والغريب ان رئيس المجلس العرفي الذ اصدر الحكم باعدامه قد تشكل لدى احد اصدقائه بعد سنوات من خروج حكمة سليمان من السجن ومصالحته مع السعيد انه لم يلق استقبالا من حكمة في احدى الحفلات العامة معللا سبب ذلك هو اصداره الحكم باعدامه ليكون امنا من التعرض لحادث اغتيال كان مبيتا له من قبل بعض الجهات، ولان حكم الاعدام سيجعله محاطا بحراسة لا تمكن احدا من قتله ربما من خلال الفترة الواقعة بين الحكم باعدامه وتنفيذ الحكم قبل ان يصدر عفوا عنه!

×واخيرا..فقد اشار الى هذه الحادثة العجيبة باسلوب رمزي الاستاذ المرحوم صادق البصام في حقل كان يكتبه في جريدته الدفاع..!

جريدة الاتحاد 1986

الشيخ محمد علي اليعقوبي

1895 – 1965..

نقد سياسي ساخر لاذع تداولته المجالس الأدبية

الشيخ محمد علي اليعقوبي

ارشد العمري

محمد جواد الغبان

نشر الاخ الصحفي شاكر علي التكريتي مقالة عام ١٩٨٨ بعنوان (وفاء دين قديم الى الشيخ اليعقوبي...) تحدث فيها عن شخصية المغفور له الشيخ محمد علي اليعقوبي عميد جمعية الرابطة الادبية، وعن شاعريته من خلال الجزء الاول من ديوانه الصادر في الخمسينيات فقال فيما قال: " ان اليعقوبي شيخ جليل قل نظراؤه بين الشيوخ الاجلاء وشاعر ظريف قل امثاله بين الشعراء الظرفاء.. وماذا عساني ان اقول في اوصافه بعد ان وصفه الخالد الذكر الشيخ محمد رضا الشبيبي: بان شاعرية اليعقوبي قائمة بذاتها ولا تحتاج الى دليل، فانه يستوحي احداث العالم العربي التي انعكست على شعره.. فراح يحث على جهاد المجاهدين ، ويندد بسياسة الطغاة البغاة، وانه يستوحي شؤون الامة العربية الحاضرة وشجونها ويهيب بها الى احياء مجدها وعزتها وحضارتها.

×ويسترسل الاستاذ التكريتي بعد ذلك فيتحدث في مقالته عن اشعار اليعقوبي الجريئة في حرية الفكر ومساوئ الظلم، ثم يقول: طاما اليعقوبي الشاعر الساخر فالحديث عنه يحتاج الى مجال غير هذا المجال، ثم يذكر نمو نجماً من ذلك البيتين اللذين نظمهما اليعقوبي عندما قام بتأليف الوزارة ارشد العمري عام ١٩٤٦ وقد اشتهر البيتان في حينه على كل لسان.

قالوا: الوزارة شكلت / برئاسة العمري ارشد
فاستقبل الشعب الوزارة / بالصلاة على محمد

وتعليقا على هذين البيتين اللذين استشهد بهما الاستاذ التكريتي في مقالته احب ان اسجل بانه لا صلة شخصية مطلقا للشيخ اليعقوبي بارشد العمري، ولكنه نظم البيتين جريا على اسلوبه في نقد كل وزارة تتألف في ذلك العهد.

×وبسبب صلتي الوثيقة ومرافقتي الطويلة لخالي الشيخ اليعقوبي رحمه الله الذي تربيت في رحاب علمه ومعارفه، ونهلت من ينابيع أدبه وشعره، فأنني على معرفة دقيقة بمواهبه المتعددة ومزاياه الكثيرة، ومع ذلك فلست الان بصدد الكتابة عنه مؤرخا ثبتا ، او خطيبا مفوها، او عالما موسوعيا وانما (أخصص مقالتي للحديث عن شاعريته المتميزة بالرقة والعذوبة ، وصفة (السهل الممتنع) لا احسبها تنطبق على شعر شاعر في العصر الحديث انطباقا على شعر اليعقوبي وحسبنا النماذج التي سنأتي على ذكرها شاهدا على ذلك، علما بأننا لا نستطيع في مقالة واحدة ان نتحدث عن جوانب شعره المتعددة ، وانما نقصر الحديث في هذه المقالة على النقد الساخر في شعره، وعن الظرف المتميز فيه، فقد (جبل الشيخ اليعقوبي –على حد تعبير العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي في تقديمه لديوانه المطبوع عام ١٩٥٧ – على شيء غير قليل من لطف الطبع وخفة الروح وحرارة النكتة والفكاهة ، وانك لتجد في شعره شواهد يتناقلها الرواة، على ان بعض ابياته في المداعبة والمباسطة تعد نقدا سياسيا لاذعا ولكنه يتحاشى المهاترات لانه في عفة اللسان مثله في عفة اليد، فقد قنع من عيشه بما تدره عليه محاضراته ومجالسه الشعبية وتلك الخطب التي طالما اهتز لها السامعون..؟.

×والشعر كما يراه الشيخ اليعقوبي تلخصه مقطوعات في ديوانه نختار منها هذه المقطوعة التي نظمها عام ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ ونشرها في مجلة الفضيلة:

ما الشعر ما رقم اليراعُ / منمقا فيه الصحائف
فالشعر ما ترتاح عند نشيده / كل العواطف
تصغي له الاسماع من / طرب وتهتز المعاطف
الشعر ما تكسوه رقة / لفظه أسنى المطارف
وحوت معانيه الحقائق/والطرائف والظرائف

×وحين قامت معارك الانتخابات في العشرينيات من القرن الماضي تحت ظلال الانتداب نظم مقطوعة مشهورة تناقلتها الافواه في كل مكان بعنوان: " انتخاباتنا ، وقد نشرت في جريدة (الرعد) في بغداد نذكر منها قوله:

للانتخابات قامت / معارك ومعامع
لكل حزب هتاف/ تستك منه المسامع
فللشباب طموح /و(للشيوخ) مطامع
سوف الضمائر فيها / مابين شار وبائع
ذرائع القوم شتى / والمال بعض الذرائع
وليس يربح الا/ من رشحته المراجع

×وعند اجتماع مجلس النواب نظم رائعته المشهورة تحت عنوان (انصاب) وقد دارت على كل لسان نذكر منها قوله:

ارأيت في بغداد مجلسنا الذي/ اخذت مقاعدها به النواب
نصبت على تلك الكراسي التي/ فيها هياكل كلها انصاب
نجحوا واسباب النجاح كثيرة / في الانتخاب وبئست الاسباب
رضيت نفوسهم بنيل مرامها /وجميع ابناء البلاد غضاب
ما ضرهم وقصورهم فيما ازدهت/ معمورة. ان البلاد خرابُ
سيطول موقفهم اذا ماحوسبوا /حيث الجرائم ما لهن حسابُ
ومن الامور المستحيلة..انه / ينجو القطيع وحارسوه ذئابُ
لادر در مجالس اعضاؤها /سيان ان حضروا بها أو غابوا

×وسئل عن رايه في المجلس فارتجل البيتين التاليين:

ارى البرلمان ونوابه /سكوت به سكتة الاخرس
تماثيل ينحتها الانتداب/ وتعرض في قاعة المجلس

والبياتان والمقطوعتان اللتان قبلهما مثبتات في الجزء الاول من ديوانه المطبوع.

وعلى اثر ذلك حاولت السلطات الحاكمة إغراءه بتسلم بعض المناصب المهمة لتحاشي نقده اللاذع لهم فارتجل مقطوعة عنوانها (القناعة) وهي مثبتة في ديوانه المطبوع نذكر منها قوله:

أرتاح بالكرسي مزدهيا به / وتهتز من شوق إلي المنابر
واضرع مأمورا لناه وآمر/ ولي مقول في الشعب ناه وأمر
رضيت لنفسي في الحياة بمقنع / من العيش يأباه خطيبٌ وشاعر
ولم ادخر غير القناعة ثروة / وتلك التي تبقى وتفني الذخائر

×فكان كل همه العكوف على التأليف والانكباب على القراءة في مكتبته الزاخرة بامهات كتب التراث العربي، وكان (صندوق اليعقوبي) موضوع مقالات وتعليقات كثيرة في الصحف والمجلات لما يحتويه من النفائس والنوادر في الشعر والتراجم والتعليقات.

ان شاعرية اليعقوبي قائمة بذاتها ولا تحتاج الى دليل، فانه يستوحي احداث العالم العربي التي انعكست على شعره.. فراح يحث على جهاد المجاهدين ، ويندد بسياسة الطغاة البغاة، وانه يستوحي شؤون الامة العربية الحاضرة وشجونها ويهيب بها الى احياء مجدها وعزتها وحضارتها.

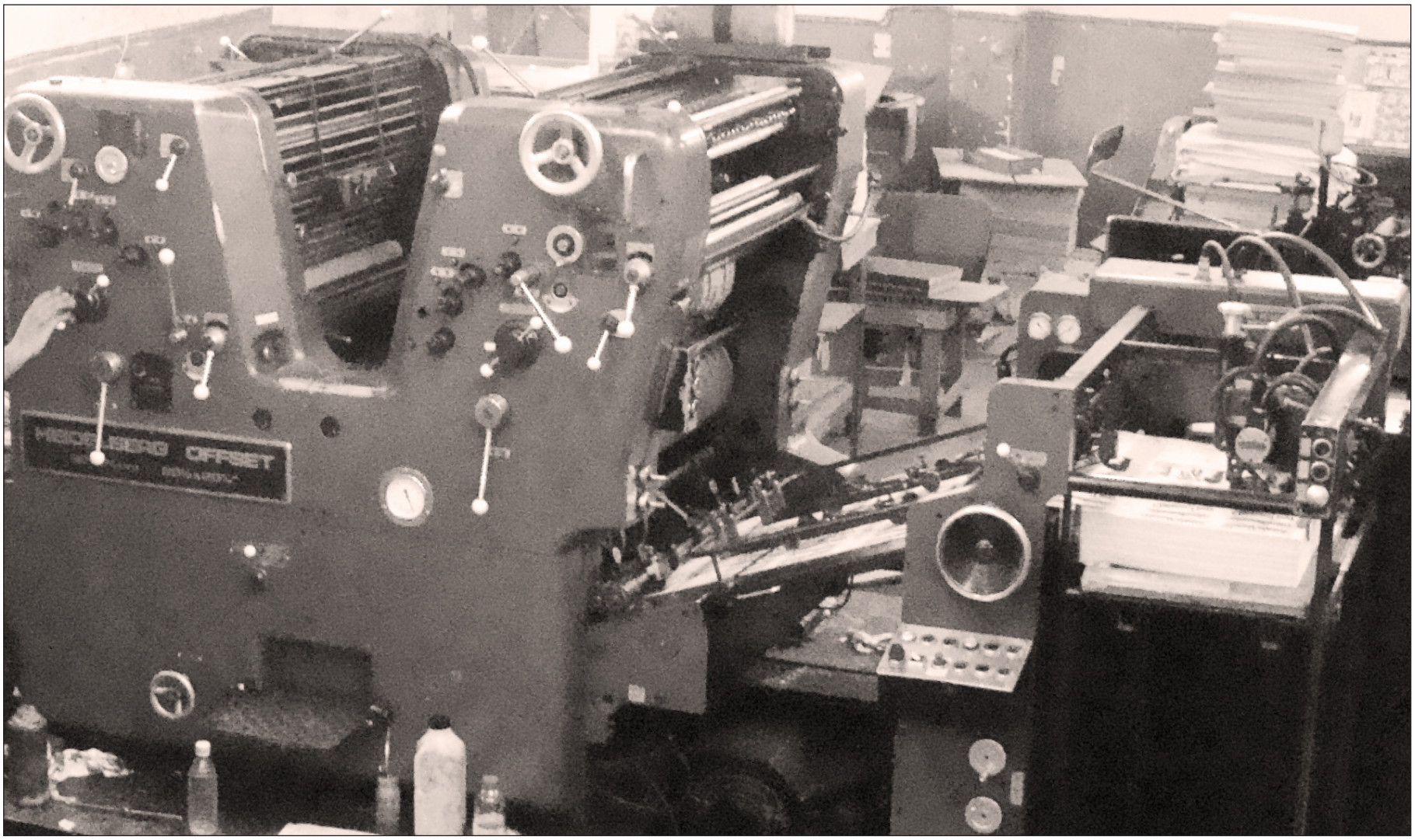

مطبعة الولاية هل هي البداية؟

فاخر الداغري

الاستنساخ باليد والكتاتيب والملا والفلقة والامية والجوع والحرمان وتفشي الامراض الوبائية من هيضة وطاعون وجدري هي التي كانت سائدة في العراق (العثماني) قبل عام ١٨٦٩.

وبتولي مدحت باشا ولاية بغداد ظهرت بوادر التطوير والتغيير وكانت مطبعة الولاية على رأس منجزاته العديدة برغم قصر فترة ولايته وعليه:

فمرحلة مدحت باشا اختلفت عن كل الولاة الذين سبقوه او الذين جاءوا من بعده..

وكان جلبه مطبعة الولاية حدثاً علمياً ثقافياً كبيراً جداً نجم عنه كأنجاز اول اصدار صحيفة الزوراء التي صار تاريخ اصدارها عيداً للصحافة العراقية فيما بعد، وقد فتح مكتب الصنائع الذي يحمل مواصفات المدرسة الى جانب مطبعة الولاية من حيث المكان يشير الى ان مدحت باشا يمتلك ذهنية تخطيطية بمضامين حضارية متقدمة نوظف عامل الزمن والتخصص لصالح ساعات العمل في عملية تنسيقية محكمة الاعداد، حيث ان مكتب الصنائع اسهم في اعداد الطلاب مهنياً من خلال تعلمهم في فرع الطباعة من الطباعة نظرياً وتطبيقه ميدانياً في مطبعة الولاية وعلى بعد بضعة أمتار في صيغة عمل متكاملة من خلال التجاور القريب وكانت الدراسة في مكتب الصنائع لبضع سنوات قليلة تعد ملاكاً لأدارة المطبعة.

وفي التفاتة انسانية من لدن الوالي المصلح مدحت باشا اشترط في مواصفات الطلاب الذين يقبلون في هذه المدرسة ان يكونوا أيتاماً بهدف رعايتهم وتعويضهم عن دور الاب الذي فقدوه بتهيئة فرصة عمل لهم الامر الذي قوبل بالاستحسان والاطراء على انسانية هذا الوالي.

وكان اسماعيل افندي الكركوكي من الخريجين الاوائل وقد تميز بنشاطه وإتقان تخصصه وقد ساعده هذا التفوق المهني بأن يندرج من مرتب حروف الى محرر..الى مدير تولى ادارة المطبعة والصحيفة لمدة سنة ونصف.

وقد كان عدد طلاب مدرسة الصنائع لايتجاوز العشرة طلاب بسبب خضوعهم الى انتقائية معينة في القبول (أيتام) وبهدف مواكبة التطور والاستفادة من الفرص المتاحة للتغيير اتخذ العمل الطباعي ثلاثة اختصاصات على الصعيد الرسمي مقترناً بالسنين من حيث الفرز الزمني الذي يؤشر مستوى كل حالة على انفراد، الاختصاص الاول: من سنة ١٨٦٩ -١٩٠٨ كان الطلاب خلال هذه المرحلة يتدربون داخل مطبعة الولاية بصفة عمال مساعدين على مختلف خطوط الانتاج وحسب حاجة المطبعة لليد العاملة.

الاختصاص الثاني من سنة ١٩٠٨ -١٩١٧ ظل الطلاب يتدربون حسب الاسلوب القديم ولكن العمل التدريبي في مدرسة الصنائع نفسها وليس داخل المطبعة حيث اخذت المدرسة على عاتقها هذه المهمة ولكن باشراف المطبعة.

الاختصاص التحق من سنة ١٩١٧ – ١٩٣٧ وكان التدريب يجري للطلاب داخل المدرسة بعد ان الحقت المطبعة بها واصبح فرع الطباعة قائماً بذاته مستقلاً عن اية ادارة اخرى وقد سمي فرع الطباعة باسم فرع الطباعة بمطبعة الصناعة".

لقد ظلت سمة التخلف عن مواكبة التطور الطباعي هي الصفة الغالبة وقد عزي هذا في حينه الى سببين رئيسيين هما:

اولاً: وقوع مكتب الصنائع او مدرسة الصنائع أسيرة لعقلية الادارات المتخلفة.

ثانياً: العجز المستمر عن مواكبة التطور التكنيكي في مجال الفنون المطبعية لعدم وجود تبادل خبرات او بعثات او الاتيان بمنح طباعي حديث أي ان الانفلاق والانكماش على مافي الداخل هو الصفة الملازمة لطبيعة العمل.

وقد نجم عن هذا الواقع المنكمش على نفسه حدوث ظاهرة تسرب الايدي العاملة الجيدة الى القطاع الخاص نتيجة الاجر المغري والتطور المعلوماتي من حيث مستوى الالة وكان علي أفندي اول طالب من طلاب هذه المدرسة الذي سئم الوقوف وراء عربة التدرج البيروقراطي الوظيفي فترك الخدمة وأسس مطبعة دار السلام بتمويل من ابراهيم باشا الامر الذي شجع اصحاب رؤوس الاموال الوطنية بتوظيف رؤوس اموالهم في مهنة نشر الثقافة وكان عام ١٩٠٨ عام الانعطاف التأريخي في توسيع عملية تدريب الايدي العاملة المتخصص بالفنون الطباعية الحديثة، وكان اعلان الدستور الضماني انتعاشاً للافكار الوطنية التقدمية في العراق حيث تأسست في تلك الحقبة العديد من المطابع الاهلية التي صدر عنها اكثر من سبعين صحيفة ومجلة حتى سنة ١٩١١.

لقد فتحت المطابع الاهلية ابوابها أمام عشرات المتدربين على ترتيب الحروف اليدوية الذين أعدوا بوقت اسرع وبكلفة أقل الامر الذي أدى الى بلوغ التنافس أشده ولعبت الشطارة دورها الفاعل في اتقان هذه المهنة الشاقة في طبيعة تعلمها ودخل عدد الرومباث في تحديد كفاءة (الخلفة) دوره في التحافيز بين طباع وآخر وكان اعلى الرواتب هو راتب الاسطة وكان محل اجتذاب أصحاب المطابع الأهلية له.

وكان قياس جودة العمل يعتمد على مؤشر اتقان مؤشر اسماء الحروف والاشارات باللغة التركية وعلى من يستطيع ان يدندن مع نفسه في ترديد اسماء الحروف في اثناء العمل على طريقة المرحوم خضر افندي آخر رئيس مرتبين في مطبعة الولاية مثل (طوبلمة) التي تعني بالعربية الحروف المبعثرة و"يابوشي" وتعني بوس ٦ بونط و"يولسيك" وتعني الحرف العالي علماً بأن الترتيب التدريجي للحروف يتكون من "الجسم" "القدمان" "الاخدود" "الكتف" "العنق" "الفور" ،"الرويس"، "الوجه" ، "الجدع" ، "الشعيرة" ،"التجنيحة". لقد ظلت الأسيجة القديمة والادوات البالية وقطع الغيار المستعملة هي الصفة السائدة على الفنون الطباعية في العراق على ألا يستطيع احد ان ينكر ما لمطبعة الحكومة والقرطاسية من دور فاعل من حيث التطوير.

تلفزيون (بغداد) وعامليه الاوائل

اشترك في كتابته /مها البياتي
ياس خضير البياتي

لقطة لاول برنامج يظهر في الصورة الممثل عبد الجبار عباس والماكيير يوسف سلمان

قاسم الصافي من مصورينا الاوائل

تكبر الاشياء كلها.. تتغير..تحلو.. تهفو.. تتوسع، او ربما تعلو.. الا اللمسة الاولى لهذه الاشياء تحتفظ بنكهتها الخاصة لزمن طويل!

والتلفزيون يوم بدأ كان بذرة صغيرة كبرت وكبرت معها الاحلام حتى صار بناية تضج بالحركة والعطاء من هنا يدار الصوت، من هنا يشعل الضوء، ومن هنا تتحرك الكاميرا..! والذين قدموا اول اعمالهم وخدماتهم التلفزيونية هم البذرة الاولى ويعود لهم الفضل الاول في نمو التلفزيون واستمراره طوال السنين التي مضت! هؤلاء الاوائل كثيرون فيهم الحي الذي يرزق وفيهم من ودع الحياة الى مثواه الاخير، الا ان افضالهم ما زالت قائمة وأسماؤهم ما زالت تتردد على ألسنة الاجيال، فهل تذكرونهم ؟ حسنا.. لقد اعدت لكم مجلة الاذاعة والتلفزيون جرداً باسماء الاوائل وستتعرفون عليهم من على صفحات المجلة، وربما ستستعيدون معنا ايضا اسماء نسيناها فتكونوا مساهمين في وضع تاريخ التلفزيون وعامليه.. فلنبدأ اذن.. ولتتذكروا انتم ايضا!

ملاحظة:

ذكرت اسماء كثيرة لاشخاص عملوا في مجال واحد من قبل من عاصرهم، الا اننا وضعنا الاسم الذي تكرر رده اكثر من مصدر!

×اول من ظهرت صورته وسمع صوته في التلفزيون التجريبي هو "انور البير" والذي يمكن ان نقول عنه انه المذيع التلفزيوني الاول غير الرسمي ولمدة دقائق قليلة! وهو اول من عمل بالصورة والصوت والاخراج..وكل شيء!!

×اول نقل للتلفزيون كان مراسيم افتتاحه في ١٩٥٦/٥/٢ نقله المذيع محمد علي كريم وصبيحة المدرس.

×اول برنامج غنائي قدم بعد نقل مراسيم الافتتاح في اليوم الاول غنت عفيفة اسكندر وحضيري ابو عزيز وناظم الغزالي.

×اول برنامج قدم في التلفزيون كان عن مشروع الثرثار قدمه المذيع محمد علي كريم واخرجه الانكليزي هلكس.

×اول مذيع ظهر على شاشة التلفزيون هو محمد علي كريم اذ قال "هنا محطة تلفزيون بغداد تبث على القناة (٨) اول محطة في الشرق الاوسط".

×اول صوت نسائي يسمع في التلفزيون يوم افتتاحه كان صوت صبيحة المدرس التي اصبحت اول مذيعة تلفزيون يظهر وجهها من على شاشة التلفزيون.

×اول امرأة عملت في التلفزيون ولكن دون ان يظهر وجهها كانت المهندسة ناثرة قسطو.

×××××

×المهندسون الاوائل الذين عملوا في التلفزيون خالد عبد الكريم ، فالح الصوفي، ناثرة قسطو، مهدي صالح.

×اوائل المخرجين..كاميران حسني، يوسف جرجيس، ناظم الصفار، ابراهيم الديواني، خليل شوقي، خالد محمد امين.

×اول مصور للنقل الداخلي علي حجي حسين.

×اول مسلسلة تلفزيونية ظهرت على الشاشة تضاربت الاراء حولها الا انها واحدة من هذه الثلاث: الوردة الحمراء، مونت كرستو، روبن هود.

×اول برنامج ترفيهي ظهر من على الشاشة هو برنامج (ام علي) الذي مثل فيه أول مرة دور المرأة ، الممثل عبد الجبار عباس.

×اول ممثلة شاهدها الجمهور هي فدوة خالد واختها سلوى خالد.

×اول برنامج للاطفال قدم في ٥٦/١١/١٨، اسمه (نادي جحا) يعده ويخرجه خليل شوقي ويمثل دور جحا فيه الزميل يحيى زكي.

×اول طفلة شاركت في البرنامج السابق، هي اليوم ممثلة مسرحية وتلفزيونية واذاعية معروفة وأم لأطفال يشتركون ايضا ببرامج الاطفال.. انها الممثلة مي شوقي!

×اول برنامج موسيقي قدم فيه طلاب مدام لينا رقصات باليه وضع موسيقاه الفنان منير بشير واخرجه ابراهيم الديواني.

×اول مباراة لكرة القدم نقلت في عام ١٩٥٦ من على ساحة الكشافة.

×اول معرض للكتب نقل في عام ١٩٥٦ من معهد الفنون الجميلة.

×اول سائق سيارة للنقل الخارجي هو محمود الخفاجي ثم جاء شقيقه حميد، والاثنان ما زالا يعملان في وزارة الاعلام.

×اول ماكيير هو فوزي الجنابي الذي بقي فترة قصيرة ثم جاء بعده يوسف سلمان.

×اول تمثيلية عراقية قدمت من على الشاشة "يريد يعيش" وهي في الاصل مسرحية ذات فصل واحد اخرجها للمسرح جعفر السعدي ثم قدمت في التلفزيون فأخرجها كاميران حسني وقدمتها الفرقة الشعبية للتمثيل وهي من تأليف ابراهيم الهنداوي وبطولة عبد الجبار عباس ونجم عبد الله العبيدي.

×اول طفل ظهر في عمل تمثيلي هو سمير موني الذي مثل دور علي في مسرحية يريد ان يعيش وهو اول طفل اشترك في فيلم سعيد افندي.

×اوائل المصورين هم عزيز الياس، حكمت اسكندر وقاسم الصافي.

×اول من قدم برنامج قرقوز هو عبد الرزاق عبد الستار.

×اول فلم وثائقي سجل كان عن تتويج الملك..صورة احد المصورين المتعهدين واسمه الياس جموعة.

×اول نقل خارجي كان الاحتفال بيوم الجيش في ٦ كانون الثاني.

×اول من انشأ او وضع بذرة لقسم السينما هو الزميل يحيى زكي والسينمائي هاريتون مهران!

اول عامل عراقي ينشيء برجاً للتلفزيون

×__٢٨٥) قدماً هو ارتفاع برج التلفزيون الثاني الذي يحتل مكانة في مبنى المؤسسة العامة للاذاعة والتلفزيون اليوم ولكن دون ان يعمل بسبب انشاء ابراج اخرى اطول منه! هذا البرج انشأه العامل العراقي (عبد علي مراد) والذي يعتبر اول من انشأ برجاً للتلفزيون من العراقيين بعد الاجانب خاصة انه عمل مركباً للحديد قبل مجيئه للتلفزيون عام ١٩٥٩ ومن يومها باشر العم عبد علي في وضع الاساس لبرجه بتاريخ ٥٩/٥/٥. وانتهى منه في ٥٩/٨/٧. يقول العم عن احساسه عندما وضع اخر قطعة حديدية للبرج كنت فرحاً جداً ولكن..! يصمت وهو يسترجع ذكريات ذلك اليوم ثم يعاود الحديث قائلا: تصوري حدث شيء لم يكن في الحسبان، فعندما صعد رفاقي العمال الى اعلى برج اشرت انا للرافعة لاصعاد الحديدة الاخيرة.. فاذا بها تلامس القطعة الخشبية التي يقف عليها العمال وبسرعة ثبت كل واحد منهم طرف البرج، في هذه الاثناء كنت قد وصلت منتصف البرج فاذا بالبراغي والادوات الحديدية التي نستخدمها في عملنا تتساقط باتجاهي حتى ان من كان واقفاً اسفل البرج فر هرباً من الخوف فأصوات البراغي الساقطة من هذا الارتفاع كانت تدوي واعقبت البراغي في السقوط الحديدة الكبيرة والاخيرة للبرج وبسرعة رميت بجسمي الى الجهة الخارجية من البرج وكانت الاعجوبة! اذا مالت الحديدة قبل ان تصل المكان الذي اقف به واستندت بالضبط على العمود الذي يعلو فوقي مباشرة! فانكسر جزء من البرج واعدنا اصلاحه.. الا اننا والحمد لله سلمنا من الموت!

صوت المذيع يظهر على الشاشة الصغيرة مع ابتسامة خفيفة، هنا محطة تلفزيون بغداد تبث برامجها على القناة (٨) اول محطة في الشرق الاوسط. ويبدأ المنهاج لذلك اليوم من عام ١٩٥٦!

المشاهدون، دورهم التفرج والحكم بالنجاح او الفشل على ما يشاهدونه، اما هؤلاء الذين يجلسون وراء هذا الصندوق الصغير، على حد تعبير الناس في ذلك الوقت ، فهم باعثو الحياة لاشياء تكاد تكون عقيمة بحكم الظروف السيئة التي تحيط بهم،فمن الامكانات البسيطة الى قلة الكادر الذي لايفي بابسط متطلبات العمل الفني.

ستديو التلفزيون الوحيد في عام ١٩٥٦ لاتتجاوز مساحته (١٥٠) مترا يسمونه "البنكلة" اذ يتكون بناؤه من الجينكو ! مبطن بقطع كارتونية تشبه طبق كارتون البيض في يومنا هذا ، بارد قارس شتاء وحار جاف صيفاً!

تلفزيون 56

تعالوا اخبركم بحالي ولكن لاتتعجبوا وحكاية نشوء التلفزيون عندنا بسيطة تتعلق بمزاج احد الحكام في العهد البائد اذ في بداية عام ١٩٥٤ افتتحت شركة باي فرعا لها في بغداد، وانشأت معرضاً تجارياً جلبت اجهزته من بريطانيا، ونصبت اجهزة التلفزيون في المعرض وبدأ الناس بأرتياده ومشاهدة انفسهم في التلفزيون بعانة واحدة!

في عام ١٩٥٥ جاءت الاوامر لنقل الاجهزة الى داخل مبنى الاذاعة وتم الاتصال باحدى الشركات لنقلها ونصبها من جديد فارسلت الشركة ثمانية خبراء باشروا بالعمل وبدأت المرحلة التجريبية للتلفزيون وكانت السارية انذاك تبث مسافة (٢٥) كم فقط، وبعد انتهاء التجارب تم افتتاح المحطة بشكل رسمي في الساعة الخامسة بعضهم يقول السابعة من مساء ١٩٥٦/٥/٢ ، ومن المناهج الاولى لليوم الاول حفلة غنائية اشتركت في احيائها عفيفة اسكندر وناظم الغزالي وحضيري ابو عزيز واخرون، ومن اقدم الذين عملوا في اليوم الاول من عمر التلفزيون المشرف الفني (انور البير) الذي تولى فيما بعد تدريب من جاء للعمل في التلفزيون من العراقيين، ومما يذكره انور البير عن عمله، انهم طلبوا اليه في الفترة التجريبية ان يكون مذيعاً ولكن غير رسمي! ويقرأ عبارة "هنا محطة تلفزيون بغداد التجريبية تبث برامجها على القناة "٨" ومن كثرة تكرارها بدأ يتضايق حتى اضطروا لتسجيل عبارته هذه على اسطوانة واعفوه من المهمة!

ومن الطرائف التي تقترن بطبيعة العمل في ذلك الوقت وتتعلق بقلة الامكانات المتوفرة.. الحيل التي كانت تستخدم في التمثيليات والبرامج فمثلا عند اعلان

السلام الملكي كانت تظهر على الشاشة صورة الملك وعلم يرفرف، اما كيف يرفرف العلم فالمسألة سهلة جدا! اذ انهم كانوا يستعينون بالمروحة المنضدية ويوجهونها على العلم ويبدأ بالرفرفة ! ولكن حدث يوما شيء لم يكن في الحسبان اذ تعثرت المذيعة بالسلك الكهربائي المتصل بالمروحة فتوقفت عن العمل وتوقف معها العلم طبعا عن الترفرف ! فما كان من مسؤول الانارة "كاظم مقصد" الا الركض باتجاه العلم فرفعه وحركه بيده فحدث انه كان يرفرف باتجاه صورة الملك فلم تظهر الصورة واضحة فاستدعاه الملك واستجوبه فشرح له القضية بشهادة المذيعة ثم افرجوا عنه! واذا ارادوا ان يصوروا بحراً هائجاً يستعينون بسطلات الماء لسفحه داخل الاستديو.

هذه الحيل كان العاملون يتعمدونها ولكن كيف بهم وتدخلات الطبيعة! فاذا مطرت السماء في ذلك اليوم فان نقرات المطر على سطح الاستديو يسمعها المشاهد! واذا مر قطار او غرد بلبل فان المشاهدين يستمتعون بها ايضا!

×الديكور والمكياج:

الديكور في ذلك الوقت كان بسيطاً ومكرراً حتى ان ديكوراً واحداً شارك بأكثر من ثمانين عملاً!

وهو عبارة عن حائط مرسوم عليه طابوق مهشم، ولو وجدوه اليوم لحصل على الجائزة الاولى، لانه اكثر من شارك بالبرامج والتمثيليات التي قدمها التلفزيون! ولهذا الحائط مع الفنان خليل الرفاعي حكاية طريفة ففي احدى المرات وبينما هو يمثل سقط عليه الحائط وبسرعة بديهة ابو فارس المعروفة التفت الى زميله الممثل قائلاً "مويزي عاد تكرخ شيلمان تره الحايط وكع علينا"...فأنقذ الموقف! ما نعرفه عن التلفزيون انه كان يقدم فقرأت مواده بشكل حي ومباشر أي دون تسجيل مسبق لها كما هو حاصل الان بفضل اجهزة الفيديوتيب!

وربما يكون اكثر الناس مشقة عندما تكون التمثيلية تستدعي منه ان يغير مكياج الممثل عدة مرات خاصة ان غرفة المكياج صغيرة جداً لا تستوعب الا الماكيير يوسف سلمان والممثل يذكر لنا يوسف سلمان عن

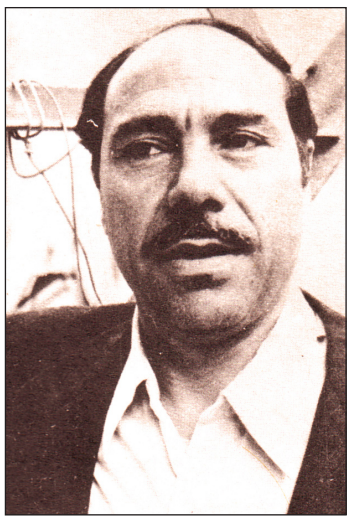

تمثيلية (يريد يعيش)

عمله في تلك الفترة قائلاً: برغم امكاناتنا القليلة الا اننا استطعنا ان نرضي المخرج والممثل.

×وكيف كنتم تحصلون على ادوات المكياج!

–من ادوات الزينة التي تستعملها النساء اما بخصوص الشوارب واللحى فكنا نحركها من اصواف الخروف والماعز!

صورة وصوت:

ما يملكه التلفزيون من كاميرات في الاستديو كانت اربع كاميرات يسمونها ام الدفع!وثلاث كاميرات ثابتة في سيارة يستخدمونها للنقل الخارجي ويعتبر اقدم المصورين الباقين في المؤسسة "قاسم الصافي" الذي يضحك حين يتذكر مفارقات العمل وكيف ان الديكور في احدى المرات اراد السقوط ايضاً فترك كاميرته ثابتة على وجه الممثل تعمل لوحدها وذهب هو ليمسك الديكور وكيف ان الكاميرات كانت اثناء البث تعطل عن العمل ويضطرون للتصوير فترات طويلة بكاميرا واحدة!

ومن القدامى الباقين في المؤسسة علي احمد ونواف بكر اللذان كانا مسؤولين عن الصوت، ومما يذكره علي احمد ان المؤثرات الصوتية في ذلك الوقت كانت قليلة لذا كانوا يستعينون باحد العاملين لتقليد صوت حيوان او قطار او سيارة ! ويسجلونه ولكن دون ان يدري حتى لايزعل! ومن المعروف عن نواف بكر انه يحب افلام الكارتون كثيرا ويضحك عليها واطراف ما يروى عنه انه في احدى المرات كاد يسقط من الضحك بسبب رؤيته ذيل حيوان يتحول الى "بروانه" ويطير مثل الهليوكوبتر في الهواء برغم انه شاهد هذا الفلم الكارتوني اكثر من مرة.

ومن مفارقات الصوت انه ظهرت صورة لاعلان عن باتريات بابل بينما الصوت يعلن عن دبس أي.أي!

×المهندسون الاوائل:

خالد عبد الحكيم وفالح الصوفي من اقدم المهندسين العاملين وحتى الان في المؤسسة العامة للاذاعة والتلفزيون ، فرغم الحوادث التي كادت تؤدي بحياة فالح الصوفي الا انه ما زال يحب عمله في التلفزيون.

وفي احدى المرات اراد ان يفحص المرسلة وكانت المكثفة مشحونة بالكهرباء فاذا بيده تلامسها وتعمد بعدما تتفرغ شحنتها كلها على يديه ولم يشعر بنفسه الا في المستشفى.

اما المهندس خالد عبد الحكيم فحدثنا عن السباريات في ذلك الوقت ومراحل تغييرها قائلاً: ان الارسال كان لايصل حتى بعقوبة، وان المرسلة كانت تبث نصف كيلو واط!

ويقول: اول سارية كان ارتفاعها (٥٠) قدماً بدلت بسارية طولها (١٣٠) قدماً فبدأ ارسال آخر حوالي خمسة كيلو واط ، في عام ١٩٥٩ بدلت السارية باخرى ارتفاعها (٢٩٠) قدماً وفي عام ١٩٧٠ اصبح ارتفاعها (٥٦٠) قدماً.

×جحا وام علي !

يعتبر برنامج نادي جحا اول برنامج قدم للاطفال من على شاشة التلفزيون والذي كان يعده ويخرجه خليل شوقي ويقدمه الزميل يحيى زكي وهو يعتبر من احب البرامج للمشاهدين آنذاك خاصة ان جحا يحكي لهم قصصاً ويقدم لهم افلاماً للكارتون ويوزع عليهم الحلوى التي كان جحا يضطر لشرائها من اجل اسكات الاطفال الذين يبكون في البرنامج خاصة ان البث التلفزيوني على الهواء.

ويتذكر يحيى زكي ان ابرز من شارك في برنامجه مي شوقي والعداء سامي الشيخلي.

اما "ام علي" فهو البرنامج الذي نستطيع ان نقول عنه اول برنامج مثلت فيه امرأة؟

وهذه المرأة كانت رجلاً متنكراً..انه الفنان عبد الجبار عباس الذي يقول عن نجاحه بتقمص هذا الدور: ربما يكون لنشأتي الاولى تأثير واضح على امكانيتي بتقمص شخصية ام علي وهي المرأة الشعبية التي تلبس الفوطة خاصة ان اهلي كانوا يسكنون في بيت تسكن فيه عشر عوائل اخرى! وكنت اساعد امي التي تخبز وتبيع الخبز! لذا فان الوسط الذي عشت فيه مليء بنساء مثل ام علي!

×يقولون ام علي عندما تبكي، تبكي معها الجمهور وعندما تضحك تضحكهم معها!

–هذا صحيح ان كانت ام علي تردد عتابة تبكي عليها النسوة خاصة عندما كان يظهر بها ابو علي!

ومما تجدر الاشارة اليه إن برنامج (ام علي) برغم كونه ترفيهياً الا انه كان برنامجاً يحمل في طياته موقفاً سياسياً تجاه الحكام وسلوكهم.

×في الصيف..في الشتاء!

ستديو التلفزيون في عام ١٩٥٦ كان له تسمية خاصة فهو اشبه بحمام تركي كما يسمونه خاصة انك من النادر ان تجد احد العاملين فيه يلبس قميصاً وبنطلوناً! والطريف ان الاستديو كان ينقل الى الحديقة المجاورة له ويتحول الى ستديو صيفي! ومن هناك يبدأ البث!

الزنبور الذي اوقف البث التلفزيوني

وفي الشتاء كانت قطرات المطر تنثال على رؤوس العاملين اذا لم تغرق الاستديو، فقد حدث ان ملأت المياه ارضية الاستديو ورصفت الصناديق الخشبية للسير عليها بغية الوصول الى اماكن العمل!

يذكر العاملون القدامى انه صادف ان توقف البث التلفزيوني ليومين وبعد البحث والتقصي اتضح ان جرذاناً او زنبوراً – اختلفوا عليه – كان السبب! وبالتأكيد فهناك العديد من الذكريات الجميلة، والحوادث الطريفة التي كانت تشكل – برغم مرارتها – انطلاقة ايجابية للعاملين الاوائل الذين صنعوا ميلاد التلفزيون، وما زالوا يعطون له الشيء الكثير.

مجلة الاذاعة والتلفزيون ايار 1976

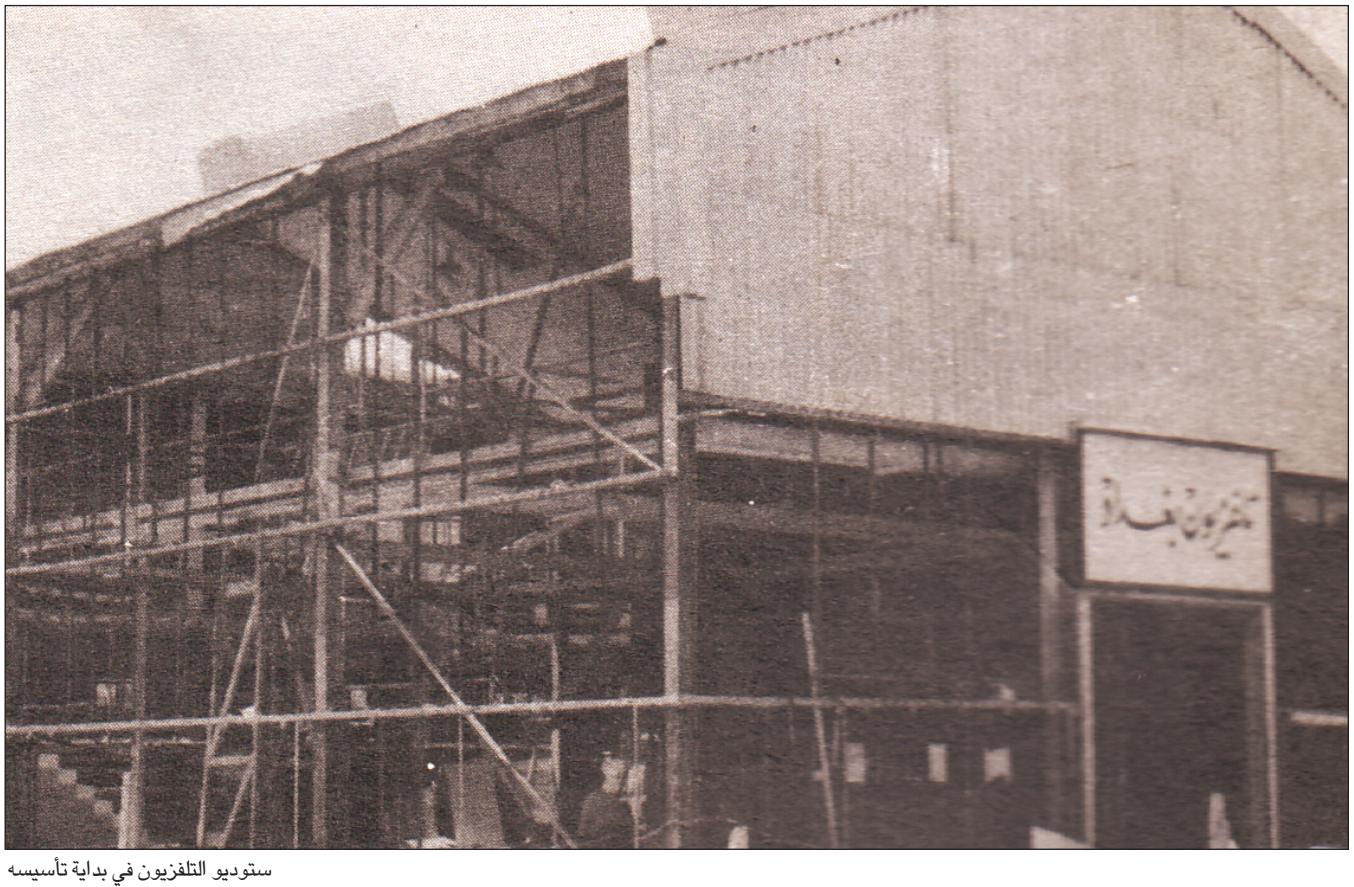

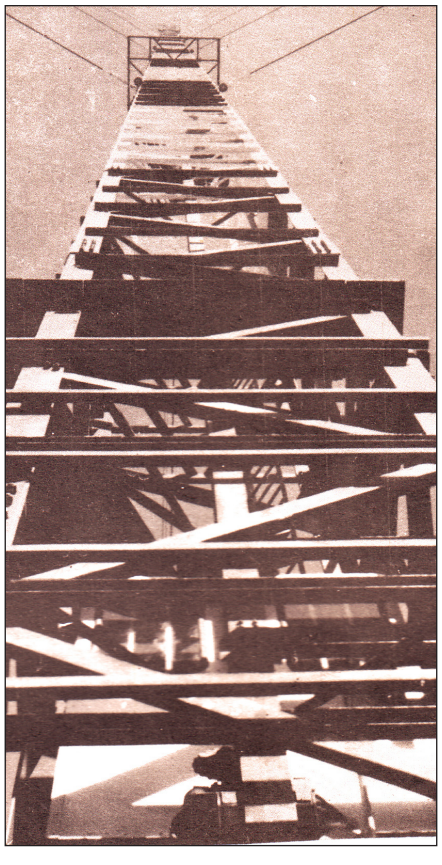

ستوديو التلفزيون في بداية تأسيسه

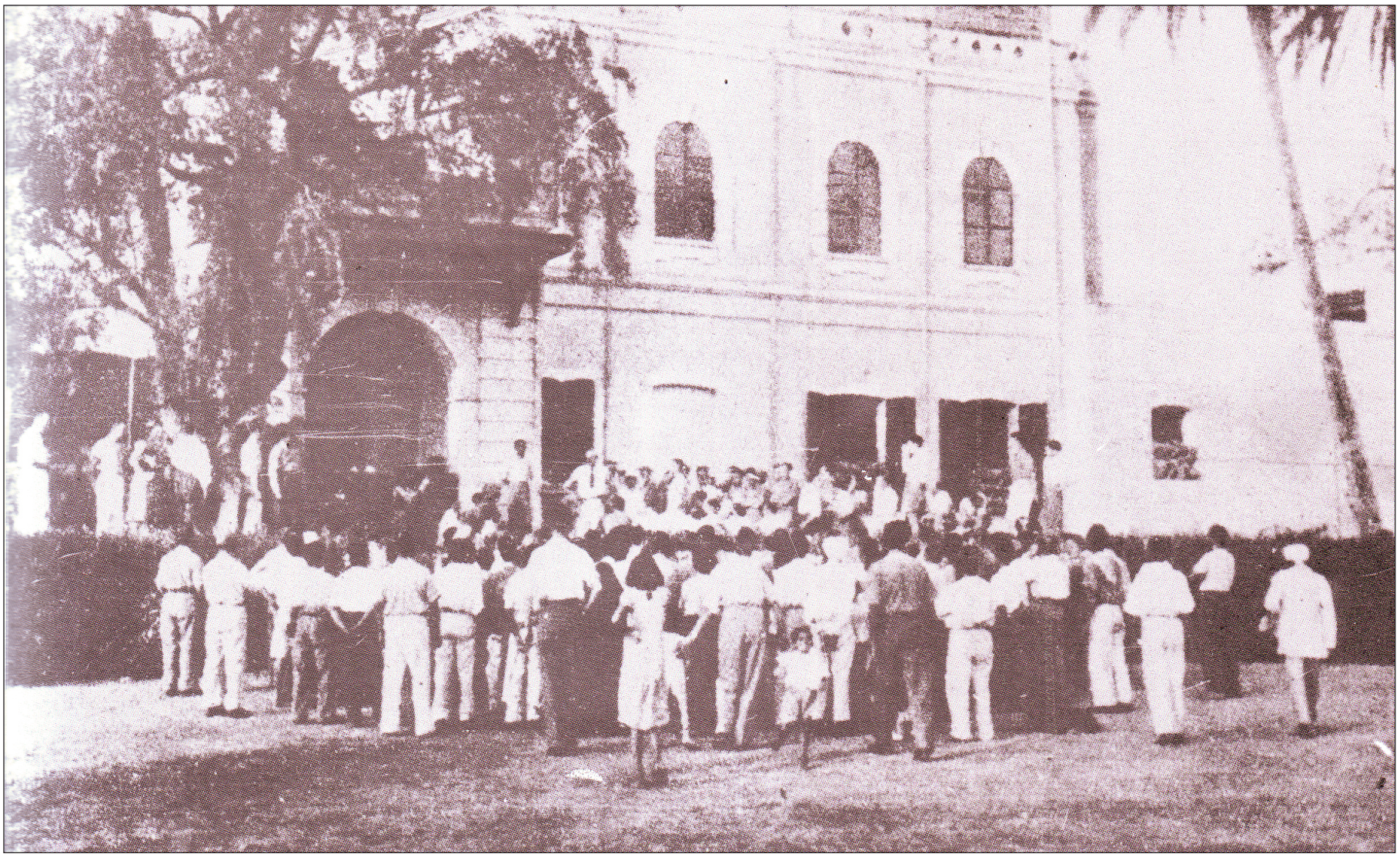

كورنواليس (طويل القامة الواقف امام الباب الضيق) يعلن للمعتصمين في السفارة انتهاء القتال

اسرار عراقية

هكذا سقطت بغداد تحت الاحتلال البريطاني ثانية

محمود شبيب

في الاسبوع الاول من نيسان عام ١٩٤١ ، استطاع الجيش العراقي بقيادة العقداء الاربعة الاستيلاء على السلطة، ما اضطر الوصي "عبد الاله" الى مغادرة بغداد الى "الحبانية" ومنها الى "البصرة" ثم العراق كله ثم بادر "رشيد عالي الكيلاني" الى تأليف حكومة "الدفاع الوطني" التي اتهمت في الحال بانها موالية للالمان وان كان الامر خلافا لذلك فقد كان السبب في الانتفاضة هذه يعود الى عدم صدور وعد صريح من الانكليز بضمان الاستقلال التام للعراق واعتراف بحق كل من "فلسطين، وسوريا ولبنان" في تقرير المصير.

ومن الطبيعي ان هذه العملية لم تكن سهلة بالنسبة الى "بريطانيا" خاصة وانها لم تعد تكتفي بالمطالبة بما ورد في معاهدة عام ١٩٣٠ بين العراق وبريطانيا بل اصرت على ان تتحول بلادنا الى قاعدة للمجهود الحربي دون قيد او شرط اذ انها كانت تأمل وهذا ما وقع بالفعل انفجار الحرب بين المانيا والاتحاد السوفيتي واقامة حلف مع الاخير فيصبح من الضروري جدا تزويد موسكو" بما تحتاجه من الاسلحة والعتاد عن طريق "العراق وايران" اضافة الى هدف بريطانيا" غير المعلن باحتلال ايران ذاتها في حالة نشوب الحرب المذكورة على اساس انه كانت لحكامها ميول للالمان.

قاعدتان

وسرعان ما تبين انه برغم التطمينات الصادرة من السفير البريطاني الجديد "كنهان كورنواليس" الذي رفض تقديم اوراق اعتماده، لرئيس الوزراء "الكيلاني" وادعائه بأن القوات البريطانية تريد المرور فقط عبر الاراضي العراقية وليست لديها نية الاقامة الدائمة فيها الا ان ما حدث في "البصرة" يومي ٥ و٦ نيسان كان خلاف ذلك اذ هوجمت المدينة من الجو والنهر والبر وتم احتلالها.

وعلى اية حال فان الهدف النهائي للنشاط الحربي البريطاني كان الزحف على بغداد واسقاط حكومة "الكيلاني" وكانت هناك قاعدتان حربيتان لبريطانيا في العراق هما "الشعيبة" قرب "البصرة" و"الحبانية" غربي الفرات وعلى مقربة من مدينة الرمادي لما كانت الاخيرة قريبة جداً من العاصمة بحيث يمكن مهاجمتها جوا دون العناء اضافة الى ان طبيعة الارض بينها وبين بغداد اسهل بالقياس لتلك الممتدة بين البصرة وبغداد مع عدم ضمان ولاء القبائل لبريطانيا، فقد تقرر الزحف على الاخيرة من الحبانية.

ذريعة

ومع انه لم تكن لدى الانكليز الحاجة الى ذريعة للزحف، الا ان الظروف ساعدتهم، ففي اواخر نيسان عام ١٩٤١ قررت وزارة الدفاع السيطرة على الهضبة المطلة على القاعدة ومنع اية طائرة بريطانية من مغادرتها وكذلك الحيلولة دون محاولة الطائرات البريطانية بالمناورات خشية قيامها بغارات على بغداد ومع ان الانكليز يقولون في معظم مصادرهم، ان لم يكن جميعها ، ان القاعدة قد "طوقت" تماما الا ان المصادر العراقية اكتفت بايراد الرواية الاولى. ومع ان القوات البريطانية الموجودة في الحبانية ، كانت تعرف ان النجدات آتية اليها، الا ان امر الحامية قرر القيام بمحاولة مهما كانت النتائج ففي فجر الخامس من مايس انطلقت الطائرات البريطانية نحو الهضبة وامطرتها بقنابلها واوقعت بها الخسائر، بفعل عامل المباغتة فاضطرت القوات العراقية الى التراجع الى منطقة تقع بين الحبانية والفرات بعد ان اصيبت بخسائر جسيمة.

وعلى اية حال فان الهدف النهائي للنشاط الحربي البريطاني كان الزحف على بغداد واسقاط حكومة "الكيلاني" وكانت هناك قاعدتان حربيتان لبريطانيا في العراق هما "الشعيبة" قرب "البصرة" و"الحبانية" غربي الفرات وعلى مقربة من مدينة الرمادي لما كانت الاخيرة قريبة جداً من العاصمة بحيث يمكن مهاجمتها جو دون العناء

تحول في الموقف

وما هي الا ايام قليلة، حتى وصلت طلائع "رتل الحبانية" الى الرطبة كما اطلق عليه انذاك قادما من الغرب ، وكان بصحبة هذا الرتل كل من "عبد الاله" و"نوري السعيد" و"علي جودت" و"جميل المدفعي" وداود الحيدري" و"صباح السعيد" وبعد مناوشة عنيفة بين طليعة الرتل وحامية الاخيرة سقطت الاخيرة بايدي القوات الزاحفة وبذلك اصبح الطريق ممهدا نحو "الحبانية" التي لايفصلها عنها لا حاجز طبيعي ولا قوات عراقية.

كان الدكتور "غروبا" وزير المانيا المفوض في بغداد سابقا والذي عاد الى بلاده بعد قطع العراق العلاقات مع المانيا، قد تلقى التعليمات من وزارة الخارجية بان يعود ادراجه الى بغداد لمعرفة طبيعة الوضع ولتقدير ما تستطيع ان تقدمه المانيا من المساعدة للعراق، وكان اول ما طلبه "غروبا" ارسال سرب من الطائرات وبالرغم من ان امر السرب "فون بلومبرغ" قد اسقطت طائرته فوق مطار "المثنى" الحالي يوم ١٢ مايس، من جانب مصدر مجهول حتى الان، الا ان ذلك لم يحل دون قيام قسم من هذه الطائرات بمهاجمة الحبانية والحاق اضرار طفيفة بها، ومن الواضح ان هذا التحول في الموقف قد اطار صواب الانكليز ودفعهم الى الاسراع في حسم الموقف.

حرب عصابات

وبعد تدارس الموقف من جميع جوانبه قرر الجنرال "مارك كلارك" قائد الحملة ان يتم الهجوم على بغداد من محورين الاول يهدف الى اختراق الجسر الحديد المقام على الفرات، واحتلال الفلوجة والزحف من الاخيرة الى بغداد والثاني ان يجتاز النهر بواسطة جسر عائم جرى نصبه الى الشمال من البلدة على مقربة من الرمادي للقيام بقتال مشاغلة.

تم تنفيذ القسم الاول من العملية بقيادة الرائد اليستير غراهام على الجسرالوحيد فوق الفرات ورافق ذلك عبور النهر بواسطة قوارب صغيرة وشارك في الهجوم جنود قادمون من الغرب وقوات من الليفي وبرغم المقاومة الضاربة من جانب الفلوجة، التي كانت تتعرض انذاك الى غارات جوية غير مألوفة من جانب سكان البلدة الذين كادوا ان يردون الغزاة على اعقابهم ، فقد استطاعوا الاستيلاء عليها.

وفي غضون ذلك، جاءت الانباء، ولم يكن هذا امرا صعبا بالنسبة للانكليز ذلك الوقت ، ان حكومة "الكيلاني" تنوي مغادرة العاصمة اما الى الموصل وإما الى كركوك لاتخاذ واحدة منهما مقرا مؤقتا للحكومة بانتظار تطور الامور ولهذا تقرر تكليف القوة الاولى ، وبالزحف نحو الشمال الشرقي وقطع السكة الحديد بين بغداد والموصل أي شن نوع من حرب العصابات.

قصة المتصرف

ويقول الميجر "كنغسلي" قائد الطابور الذي زحف نحو الهدف الاخير، وبالفعل وصل الطابور الى محطة المشاهدة القريبة من الكاظمية وبعد مناوشة طويلة تبين انه لايمكن الاستيلاء عليها، فآثر القائد احتلال محطة التاجي الى الشمال منها، ولم يكن هو في المقدمة ولكنه ما ان اقترب منها حتى سمع صوت اطلاقات نارية متقطعة حيث رفضت احدى السيارات المدنية التوقف فاطلق عليها الجنود الرصاص واصابوا اطارها فتوقفت ، وعندما وصل القائد المحطة وجد ان "جلال خالد" متصرف بغداد كان مصابا بجرح في يده وان ضابطا برتبة عقيد قد جرح في بطنه وانه كان يحتضر ومع انه لم يشر الى اسم هذا الضابط فقد علمنا بانه لطفي عبد الله الصالحي ، من كركوك وانه توفي بعد وقت قصير.

وتبين من استجواب المتصرف ان الحكومة علمت بمحاولات الانكليز لقطع السكة منذ ٢٣ ما يس وتسلمت تقريرا بان ثلاثة من الانكليز شوهدوا ليلا قربق الخط فتقرر ارسال جلال والعقيد لتحري جلية الامر فحدث ما حدث وبعد بذل العناية الطبية اللازمة من جانب طبيب القوة تقرر وضع المتصرف وسائق سيارته في قارب صغير واعادته الى بغداد، اذ لم تكن هناك حاجة للابقاء عليه ثم ان هذه الخطوة ستكون ضربة سلبية للحكومة التي لابد ان يخبرها بجلية الامر.

اشارة من السفارة

ومن قبيل الطوارئ واحتياطا لما قد يحدث من احتمال انتقال الحكومة بعد بغداد فقد قررت تأليف لجنة الامن الداخلي وضمت كلا من ارشد العمري وحسام الدين جمعة.

المتصرف جلال خالد يقع في فخ غير متوقع

متصرف اللواء نور الدين محمود مدير دائرة الحركات في الجيش وغيرها.

وفي ٣٠ مايس، ١٩٤١ وصلت برقية الى مقر قيادة الجنرال كلارك بان اعضاء الحكومة والقادة وبعض صغار ضباط الجيش قد اجتازوا الحدود الى ايران وفي ساعة متأخرة من نفس المساء هبطت برقية من السفارة تقول بان هناك وفدا عراقيا سيصل الى مقر القيادة عبر مصيدة الدبابات غربي نهر الخر للمفاوضة حول شروط انهاء وقف اطلاق النار، وبالفعل وصل الوفد برئاسة الرائد غازي الداغستاني ، وبعد محادثات قصيرة تقرر العودة الى السفارة ذاتها لاصطحاب السفير والتوقيع على الشروط وبالفعل عاد الداغستاني ومرافقوه الانكليز ومعهم كورنواليس حيث جرى في مقر كلارك التوقيع على شروط الهدنة، كما اطلق عليها ولم تلبث قوات الجيش العراقي ان انسحبت من غربي بغداد الى شرقيها فدخلتها القوات البريطانية وبرفقتها عبد الاله الذي استقر في قصر الزهور بعد ان عهد للمدفعي بتأليف حكومة جديدة لم تستمر طويلا اذ كان الدور معدا للسعيد الذي يعرف كيفية الحساب مع خصومه جيدا!

عن كتاب اسوار عراقية
بيروت 1974

"المازني" وسيارة مدير الدعاية في زيارته الثالثة والأخيرة لبغداد

صادق الآزدي

قرأت باهتمام ما كتبه الاديب السيد نجدة فتحي صفوة تحت عنوان "المازني في بغداد" فعادت بي ذاكرتي الى الوراء ، يوم زرت مع السيد سعدي خليل ضيف العراق الكاتب الساخر الجاد ابراهيم عبد القادر المازني الذي كنا نقرأ له ونعجب به ونتابع المعارك القلمية التي كان يخوضها على صفحات جرائد ومجلات القاهرة ومنها المعركة التي دارت حول كتابه او قصته الطويلة في الاصح "ابراهيم الكاتب" التي اتهم بأنه اقتبس عدة صفحات منها من قصة روسية عنوانها "سانين" او ابن الطبيعة"!

×زيارة المازني الثالثة لبغداد، وكانت الاخيرة تمت والحرب العالمية الثانية حامية الوطيس وكان العراق يعاني ازمات سياسية واقتصادية حتى ان وزارة الداخلية لم تستطع توفير سيارة لتنقلات "المازني" الذي نشر في جريدة "البلاغ" المصرية بعد عودته الى القاهرة حوالي الستين مقالا عن مشاهداته في العراق وانطباعاته عنه كما سمعت من المرحوم احمد زكي الخياط الذي لعب الدور الاول في اقناع وزير الداخلية فوزير المالية لدعوة المازني!

×كان الخياط يشغل وظيفة مدير الدعاية العام، وكانت المديرية تابعة لوزارة الداخلية،عام ١٩٧٢

×قال: اجلس لأروي لك حكاية وجلست فاستأنف قائلاً: انت تذكر انني دعوت المازني لزيارة العراق، ولما وصل انزلناه في فندق "ريجنت بلاس" –قصر الوصي! وكان الضيف بحاجة الى سيارة لتنقلاته فاضطررت الى وضع سيارتي الخاصة وسائقها تحت تصرفه ولما انتهت الزيارة، وعاد المازني الى القاهرة، جاءني محاسب مديرية الدعاية السيد احمد كمونة ومعه القائمة التي بعثت بها الينا ادارة الفندق بنفقات اقامة وطعام المازني، من اجل التوقيع عليها قبل ارسالها الى وزارة المالية لصرفها، فقال لي المحاسب:

–لماذا لا تقدم قائمة بدورك عن "البانزين" الذي احرقته سيارتك خلال سبعة اسابيع تنقل خلالها المازني بواسطتها؟

وأقنعني بأن تكون القائمة بمبلغ خمسة عشر دينارا فقط، فوافقت وقمنا بارسال القائمتين، وفوجئت بعد يومين بوزير المالية وهو يتصل بي هاتفياً ويقول:

–لقد دعونا المازني بطلب منك، اليس كذلك؟

قلت: نعم

–وسندفع نفقات اقامته في الفندق؟

قلت: هذا طبيعي!

قال: اذن لماذا لاتشارك في شيء من تكاليف ضيافته، ولو بوضع سيارتك في خدمته؟

فوافقت .

×وسكت قليلا ثم قال: وما حدث لم يكن بدافع الحرص على اموال الدولة، ولكن لأنه "ماكو فلوس". وهكذا كنا نعجز حتى عن الدعاية على نطاق غير واسع لبلادنا.

وقد فارق الخياط الدنيا عام ١٩٧٤ .

مجلة الحضارة

احداث تأريخية في الذاكرة العراقية

زيـــارة الـوصـــي الـــى امـريـكا

استقبال رسمي للأمير عبد الإله من الرئيس الأمريكي هاري ترومان

شهاب احمد القيسي

تلقَى وزيرُ الخارجية العراقية ارشد العمري، من وزير امريكا المفوض في بغداد (لوي هندرسن) رسالة يوم ٦ اذار ١٩٤٥ جاء فيها:

لي الشرف ان اخبر معاليكم باني تسلمت اليوم رسالة من حكومتي في امريكا مفادها.. ان الرئيس الامريكي مستر روزفلت يسره ان صاحب السمو الملكي الامير عبد الاله ينوي زيارة الولايات المتحدة الامريكية في ربيع هذا العام، وان الرئيس يسره ايضاً ان يستقبل الوصي في واشنطن يوم ١٩ نيسان ١٩٤٥ ليكون ضيفه الشخصي في البيت الابيض، بعدها يستمر الوصي ضيفاً لدى حكومة الولايات المتحدة الامريكية في بليرهاوس وستعد حكومة واشنطن للوصي رحلة في انحاء الولايات المتحدة للاطلاع وجاء في اخر الرسالة عن هندرسن (اكون مقدراً لمعاليكم لو امكن اخباري هل ان صاحب السمو يقبل الدعوة ام لا؟) وبعد اعلام الوصي بمضمون الرسالة رحب بالدعوة كثيراً فقرر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في ١٨ آذار ١٩٤٥ الموافقة على قبولها على ان يقوم الامير زيد بواجبات المملكة طوال غياب الوصي عن العراق.

وبينما كانت الاستعدادات تجري لسفر الوصي يوم السبت ١٤ نيسان وافت الانباء معلنة وفاة صاحب الدعوة الامريكي مستر روزفلت، في يوم ١٣ نيسان فامر الوصي عبد الاله تأجيل السفر كما قررت الحكومة العراقية تنكيس الاعلام العراقية في جميع انحاء العراق مدة عشرة ايام وقد ابرق الوصي الى الرئيس الامريكي الجديد (هاري اليس ترومان) يواسيه ويواسي الشعب الامريكي كافة بالتعازي الحارة بوفاة الرئيس روزفلت وقد رد الرئيس الامريكي الجديد الى صاحب السمو الملكي الامير عبد الاله، ولجلالة ملك العراق فيصل الثاني بالشكر العميق للعواطف الكريمة التي عبر عنها الوصي.. وجلالة الملك فيصل الثاني.

جددت الدعوة من قبل الرئيس الامريكي الجديد المستر ترومان الى صاحب السمو الامير عبد الاله، ويسره ان يقوم سموه بزيارة الولايات المتحدة في اواخر الشهر الحالي. ومن المقترح ان يجعل وصوله الى مدينة نيويورك في السادس والعشرين من شهر مايس ١٩٤٥. ويرغب الرئيس ان يقضي سموه الملكي ليلة ٢٨ من مايس في البيت الابيض وستقام مأدبة عشاء لسموه العظيم.

غادر سمو الامير عبد الاله العراق جواً صباح يوم الثلاثاء المصادف ٢٢ ايار ١٩٤٥ يصحبه السادة نوري السعيد وعلي جودت وداود الحيدري والدكتور سندرسن والمرافق عبيد عبد الله المضايفي وفي يوم ٢٦ من الشهر هبطت طائرة الوصي في مطار نيويورك فأستقبل فيها استقبالاً فخماً، وفي يوم ٢٨ ايار انتقل الى واشنطن ووضع اكليلاً من الزهور على ضريح الرئيس روزفلت، وقال سموه (لم تكن خسارة روزفلت خسارة للامريكيين وحدهم فحسب. بل شملت جميع الشعوب المحبة للسلام والحرية في ارجاء العالم) .

وفي واشنطن استقبل الوصي استقبالا رسمياً وقابل في اليوم الآتي الرئيس الجديد ترومان ثم في الايام الآتية صار يتفقد معالم الولايات المتحدة ومناظرها ومشاريعها، كمشاريع الري، وتوليد القوة الكهربائية وفق منهاج اعدته الحكومة الامريكية استغرق تنفيذه شهراً كاملاً طار خلالها الى مدينة (اوتاوه) عاصمة كندا في يوم ٢٧ حزيران ١٩٤٥ لمشاهدة معالمها وحضارتها.

كانت الحكومة البريطانية قد رتبت زيارة رسمية لسمو الامير عبد الاله تبدأ بعد انتهاء زيارته الولايات المتحدة الامريكية فوصل سموه لندن في اليوم السابع من تموز ١٩٤٥ (مع الوفد المرافق له) واستقبل فيها استقبالا رسمياً اشتركت فيه جميع الهيئات في لندن، وقد تحدث الوصي انه سيبحث اجراء بعض التعديلات في المعاهدة العراقية. البريطانية مع المسؤولين في لندن في اثناء اقامته فيها، هذا واستغرقت زيارة الوصي لبريطانيا ٤٧ يوما اقيمت خلالها مآدب تكريمية وحفلات متنوعة، وفي يوم ٢٥ آب ١٩٤٥ غادر سموه لندن قاصداً فرنسا في طريقه الى تركيا

رتبت زيارة الوصي الى تركيا التي تستغرق خمسة ايام، فبلغ سموه (اوستانه) على ظهر الطائرة الامريكية (اجاكسن) في ١٥ ايلول ومكث فيها يومين ثم انتقل الى انقرة، ومكث فيها ثلاثة ايام بضيافة الحكومة التركية حيث اقيمت له والوفد المرافق الحفلات والمآدب التقليدية الفخمة والقيت بعض الخطب الودية المناسبة بين المسؤولين الاتراك.

قفل الوصي راجعاً الى بغداد فبلغها في يوم الخميس ٢٠ ايلول عصرا حيث استقبل استقبالاً رسمياً، واقامت امانة بغداد في اليوم الآتي حفلة فخمة لسموه في بهو الامانة حضرها جمهور كبير من مختلف الطبقات والقى سموه كلمة شكر على ما لقيه من حفاوة وتكريم.

لاشك فيه ولا ريب اذ قلنا:

ان العراق قد استفاد من هذه الرحلة فوائد جليلة لاسيما ما كان منها للولايات المتحدة الامريكية فقدعرّفت الامريكيين ببلاد العراق الناشئة، ومتنت علاقات الود بين العرب والامريكان وخلقت سوقاً جديداً للمنتجات العراقية ولا سيما (التمر) على ان زيارة الوصي الى أنقرة لم تخل من فائدة للعراق ولتركيا معاً وقد عبرت الحكومة التركية في اثناء زيارة الوصي اليها بانها تجلت في اثناء الزيارة وحدة المصلحة والراي في الشؤون الاقتصادية والسياسية.

ومما يذكر في هذه المناسبة ان نوري السعيد تخلف في تركيا بعد مغادرة الوصي عنها وقد دخل السعيد في مفاوضات مع الحكومة التركية لعقد معاهدة واتفاقيات خطيرة ظهر اثرها بعد استقالة الوزارة الباجة جية الثانية..

ولد ياسين في بغداد عام ١٨٨٤ في حي شعبي من احياء بغداد يعرف باسم البارودية ونشا في اسرة متواضعة وكان ابوه السيد سليمان مختارا لذلك الحي وقد سافر ياسين بعد ان اكمل دراسته الاولية الى الاستانة حيث التحق بالمعاهد العسكرية وبعد ان تخرج فيها ضابطا اشترك في الحروب التي نشأت قبيل الحرب العالمية الاولى ولاسيما في حرب غاليسيا.. حيث اظهر شجاعة فائقة منحه بسببها امبراطور ألمانيا وليلام غلوب وساماً من الدرجة الاولى وقد تأثر ياسين كغيره من ابناء جيله بالدعوة العربية وانتسب الى جمعية العهد السرية وعمل في حكومة الشام العربية رئيساً للمجلس العربي كما تولى تنظيم الجيش السوري وبعد ان انهار الحكم الفيصلي وجيء بفيصل ليكون ملكا على العراق قدم ياسين الى بغداد وظل يمارس عمله السياسي حتى قدر له ان يخرج من بغداد بعد الانقلاب العسكري الذي قاده بكر صدقي في التاسع والعشرين من تشرين الاول ١٩٣٦ وان يموت في بيروت ليدفن في دمشق.

ياسين الهاشمي . .

ابن مختار المحلة الذي اصبح رئيسا للوزراء

زعيم وطني ام سياسي عملي

×ماذا يمثل ياسين الهاشمي في تاريخ العراق السياسي ؟. واين تكمن أهمية الدور الذي أداه في حياته السياسية.

.يقول نجدت فتحي صفوت الذي يعمل على تدقيق الوثائق البريطانية المتعلقة في العراق.. يمثل ياسين الهاشمي في تاريخ العراق السياسي الحديث مدرسة خاصة وهو يذكر بعد ابتعاده عن مسرح الاحداث اليومية اربعين عاما زعيما وطنياً وسياسياً رفع لواء المعارضة وخاصم الانكليز وقاوم المعاهدة العراقية البريطانية بان كان في سياسته الطرف المناقض لمدرسة نوري السعيد الذي ظل اسمه لصيقاً بمولاته الإنكليز والسير على ركبهم وتبني السياسة القائلة ان مصالح العراق كانت تقتضي التحالف مع الانكليز والتعاون التام معهم على الدوام في جميع الحالات ومهما كان في هذين الحكمين من تعميم فانهما بقيا السمتين المتميزتين لهذين الرجلين اللذين كانا من ابرز الوجوه السياسية في العراق في العهد الملكي على ان ذلك التعميم الذي قد يكون جائزاً بالاحاديث السطحية لايجوز إطلاقه للدراسات التاريخية العلمية والسياسية فإنها ليست قاصرة على لونين اثنين لا ثالث لهما اسود كالح او ابيض ناصع وانما تقوم بين الاثنين ظلال تتفاوت بين الابيض والاسود درجات ودرجات. والسياسة في جميع الاوقات هي فن الممكن ولذلك اختلفت اساليب السياسيين العراقيين في العهد الملكي بين الإذعان للامر الواقع وقبول الاحتلال فالانتداب والمعاهدات والتعاون مع القوى المستعمرة وبين الرفض التام لكل وجود اجنبي ونفوذ دخيل وإن المطالبة بالجلاء الناجز والاستقلال التام انما اكسب الهاشمي سمعته كرجل وطني يعود الى سببين: الاول: مواقفه ضد الانكليز ومعارضته معاهدة ١٩٣٠ . والثاني: النهاية المحزنة التي انتهى اليها وخروجه بالقوة بنتيجة انقلاب ووفاته بعيداً عن الوطن وليس بمقدور احد ان يتكهن بما كان سيسجله التاريخ عنه لو امتد به الاجل وعاد الى العمل السياسي.

ابن مختار محلة البارودية رئيسا للوزراء

واذا كان ياسين ونوري يمثلان قطبين متناقضين فكيف تعاونا في وزارة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٣٣ بل كيف ادخل ياسين خصم المعاهدة للدولة الذي بنى جانباً من سمعته في الاقل على مخاصمة نوري السعيد عاقدها المدافع الاول عن وزير الخارجية لوزارته الاخيرة الواقع ان حياة السياسيين السياسية لما تدرس بعد كما ينبغي لها ان تدرس ، ودور الهاشمي في التاريخ العراقي السياسي القريب يحتاج الى المزيد من التحليل .. فقد ظهرت في السنوات الاخيرة بعض الدراسات الجامعية التي خصصت لسيرته منها إطروحة الدكتوراه التي قدمتها الى جامعة هارفورد الامريكية الآنسة في بي مار واخرى لماجستير قدمها السيد سامي القيسي الى جامعة بغداد ونشرت بعد ذلك في كتاب. على ان هاتين الدراستين فيهما خلل كبير لعدم إفادتهما من الوثائق البريطانية التي تعتمد على مادة غزيرة عن ياسين الهاشمي وكانت تلك الوثائق غير مفتوحة حينما ولذلك مازال المجال واسعا لتقديم دراسات اخرى عن سيرة ياسين واعتقد ان حياة ياسين بعد ان ابتعد بدرجة تكفي لإصدار حكم موضوعي عليها يجب ان تكون موضع دراسات اخرى وفيها من الامثلة الكثيرة في الوطنية.

تتميز حياة ياسين الهاشمي السياسية بمواقف جريئة خدم فيها بلاده خدمة صادقة ولعل ابرز تلك المواقف موقفه من حل مشكلة الديوان العمومية العثمانية التي كان العراق يعاني وطأته بحكم المادة السابعة عشرة من اتفاقية المالية الملحقة بالمعاهدة العراقية البريطانية وبحكم معاهدة لوزان التي اعتمدت القاعدة الدولية التي تقضي بانتقال الديون العمومية الدولية المتجزئة الى الدول المنسلخة عنها كل حسب من يصيب منها.

بطبيعة الحال كان العراق بوصفه احدى الدول المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية يتحمل نصيبه من تلك الديون ويقاسي من أعبائها لاسيما وهو في بداية تكوينه وقد استطاع الهاشمي عندما كان وزيراً للمالية في وزارة العسكري عام ١٩٢٦ ان يلعب دورا جريئا لإنقاذ العراق من الديون الثقيلة التي تعوق تقدمه المالي وتعرقل نموه الاقتصادي فبادر بعد ان درس الموضوع دراسة كافية استوعب فيها المشكلة بكل تفاصيلها بشراء الاسهم المطروحة وبيعها بالاسواق العالمية بأسعار بخسة لإطفاء تلك الديون وتسديدها مرة واحدة.

وقد وازن الهاشمي بين هذه العوامل المختلفة التي تحيط بتلك القضية ولعله يتساءل ايهما أصلح للعراق ان ينتهز هذه الفرصة فيضرب ضربته وينقذ العراق من هذا الحمل الثقيل ام يتراجع مخافة ان يرمى بتهمة اخرى بأحكام الدستور؟ فرجح إنقاذ العراق وقدم على تلك المغامرة دون ان يخبر مجلس الوزراء ودون ان يرجع الى مجلس الامة وياخذ موافقته كما تقضي ذلك المادة ٩٧ من الدستور العراقي الصادر عام ١٩٢٥ التي تنص على انه لايجوز تخصيص راتب او إعطاء مكافأة او صرف شيء من اموال الخزينة العمومية لاي جهة الا بموجب القانون وقد اثارت هذه العملية ضجة واسعة عندما استقالت وزارة جعفر العسكري الذي كان الهاشمي وزيراً فيها واكتشفت وزارة عبد المحسن السعدون التي خلفتها هذه العملية التي اقدم عليها الهاشمي لاسيما ان نتائجها كانت مجهولة حيث لم يعرف هل يقبل مجلس الديوان العمومي

وان عمله هذا شذوذ عن قانون يقضي على حكومة بلاده ان تسوق هذا الوزير الى الديوان العالمي لينظر هذا الديوان في امره ويقرر ما يقع عليه من تبعات.

وقد بوغت المجلس بمواقف ياسين الهاشمي بما انطوت عليه مبادرته من إقرار مخالفته الدستور وطلب بإحالة نفسه الى المحكمة العليا لمحاكمته عن تلك العملية فقرر المجلس تأليف لجنة برلمانية للتحقق بالامر ودرست تلك اللجنة القضية دراسة طويلة اسفرت عن عدم مسؤولية الهاشمي عن قيامه بتلك العملية

وان هناك فوائد العراق جراء اقدامه على ذلك العمل لاسيما بعد ان وافق مجلس الديوان العمومي على قبول تلك الاسهم ولاريب ان قيمة هذه المغامرة التي اقدم عليها الهاشمي تكمن في انها انقذت العراق من الدين الثقيل الذي يظل العراق مطالباً به حتى ١٩٥١ تبقى خلالها الموارد المالية للعراق من المارك الالماني والسكك تحت رقابة الهيئة الدولية المرتبطة بمجلس الديوان العمومي كضمانات لتسديد تلك الديون كما تقضي بذلك المعاهدة إضافة الى ان هذه العملية اكسبت العراق سمعة حسنة عززت من المركز المالي.

مواقفه وحدودية ثابته

يقول خالص عزمي ان عام ١٩١٢ يعتبر بداية انطلاقة الهاشمي بتأكيد هويته الوطنية والوحدوية من خلال جمعية العهد التي كانت تمثل الخط العسكري للحركة وجمعية الغربية الفتاة التي كانت تمثل الخط المدني لها فعلى هذين المسارين غذ الهاشمي الركب بحنكة وشجاعة وصبر مع تكتم شديد لكي يساهم في تغذية الفكرة للثورة العربية فلما جاءت الفرصة وقف في دمشق عند اجتماع الشخصيات العربية بفيصل الاول ليؤكد الاستعداد الكامل لإعلان الثورة على النطاقين الشعبي والعسكري وكانت مشاعر الهاشمي القومية قد تجلت عبر مواقف عدة اثناء وجوده في تركيا او سوريا وفلسطين وتبلورت في اول منهج يكتبه لجمعية (العهد العراقي) التي تزعمها حيث اكد استقلال العراق ضمن الوحدة العربية وكذلك المنشور الذي وزع باسمه على ابناء الشعب العراقي اثناء قيام لجنة الاستفتاء الامريكي بزيارة سوريا وعزمها على زيارة العراق.. وفي غضون ذلك نشر سلسلة من المقالات في جريدة نداء الشعب عام ١٩٢٧ وكان تركيزه ينصب على المنطلقات الوحدوية في مجلس الثقافة والتربية فقد كتب يقول (ان على الحكومة ان تجعل المقام الارفع للغة البلاد العربية وتفرض استعمالها في جميع الدوائر والمصالح والمتاجر والمصانع.) وفي مقال آخر ركز على الجوانب المهمة في تاريخ الامة العربية حينما كتب يقول (مادامت الاقطار العربية متحدة في تاريخها ومشاعرها ولغتها وطرق تفكيرها ومتضامنة في الرغبة في التقدم فلا بد من توحيد الطرق للتربية والتعليم فيها..)..

عرف الهاشمي طوال الفترة التي عاشها داخل الحكم او خارجه بمواقفه الايجابية ولولا تلك المواقف لما انتهجت حياته بذلك الشكل المحزن بعيدًا عن وطنه واهله.. ويروي الدكتور منير بكر جانباً من هذه المواقف.. عندما كان الهاشمي متصرفا (محافظا) للواء المنتفك كان على اتصال برجالات الحركة الوطنية يبادلها الرأي ويستشيرهم في قضايا عدة وقد وقعت واحدة من هذه الرسائل بيد مدير الامن العام آنذاك اسماعيل حقي الصفار وكانت موجهة الى رشيد ابو التمن جاء فيها: بلغ تحياتي الى جعفر جلبي واخبره بانني بانتظار أوامره وادعو الله ان يوفقنا لطرد المحتلين.. وقد نقل كوكس والمس بيل هذه الرسالة الى الملك فيصل الاول وكانت المس بيل منفعلة حين خاطبت الملك بعنف ووقاحة مدعية بانه لايمكن السكوت والتغاضي عن مثل هذه المراسلات مطلقا فرد الملك عليها مبرراً موقف ياسين (ان ستمائة سنة من العبودية لم تفسح له المجال الكافي له ولغيره من التصرف كأحرار حتى انا افعل الشيء نفسه لو كنت مكانه)..

يذكر ان الهاشمي بعد سقوط وزارته الاولى شكل حزب الشعب وضم بين صفوفه عدداً من الشخصيات التي عرفت بمواقفها البطولية والوطنية كالشبيبيين محمد رضا ومحمد باقر وعبد اللطيف الفلاحي وكان شعار الحزب ملائماً لتطلعات الشعب (الخلاص والتضامن والتضحية غاية اسعد للشعب وتأمين الاستقلال التام والسعي لانماء القوى الوطنية).. وقد تبنى الحزب الدفاع عن القضايا الخاصة بالامة العربية والوطن العربي وكان لزعيمه الهاشمي الفضل الاكبر في مواصلة النضال وتوجيه الشعب بما كان يكتبه في جريدة الحزب (نداء الشعب)

الف باء 1977

اوراق من دفاتر ايامه الحافلة

السهرَوردي:
اعتقلت في ألمانيا وسجنت في النمسا وفي ايطاليا وفلسطين

عبدالجبار العتابي

في الثالث عشر من ايلول / سبتمبر ٢٠٠٩ رحل عن الدنيا الدكتور نجم الدين السهروردي، الاب الروحي للرياضة العراقية، مؤسس اول كلية تربية رياضية في الوطن العربي، والشخصية المعروفة، حياته حافلة بالاحداث الشتى ليست الرياضية فحسب، بل التي تمتد في مجالات الحياة كافة من اقصى السياسة الى اقصى الرياضة والفن، الى حكايات طويلة تمثل سيرة حياة مفعمة بالاحداث، لاسيما انه ارتبط بالشخصية السياسية رشيد عالي الكيلاني (١٨٩٢ – ١٩٦٥) الذي شغل منصب رئيس الوزراء ثلاث مرات أثناء العهد الملكي في العراق للاعوام ١٩٣٣ ، ١٩٤١، ١٩٤٠، وهو صاحب الثورة المعروفة بأسمه عام ١٩٤١ المناهضة للانكليز، وقد تزوج السهروردي ابنة الكيلاني، بالاضافة الى ان السهروردي.. هو نقيب العباسيين ورئيس مجلس العشائر والأسر والبيوتات العباسيه في العراق.

في شهر شباط / فبراير من عام ٢٠٠٢ وعلى مدى ١٣ ساعة ليومين متتاليين اجريت معه حوارا مطولا في بيته الكائن في حي الجامعة، حوار تناولت فيه اوراقا كثيرة من دفاتر عمره، في مختلف المجالات الحياتية، ولكن الحوار لم ينشر منه الا نزر يسير جدا، مقتطفات فقط، والحوار كما اعتقد هو الاول من نوعه اذ لم اقرأ حوارا مع السهروردي وكما اخبرني حينها رحمه الله انه لم يجر حوارا موسعا من قبل كما انه بعيد عن الاعلام، ولم تكن المعلومات المتوفرة عنه الا بسيطة وهي ما نشرت في سطور بعد رحيله، الحوار زاخر بالمعلومات التاريخية والجغرافية والسياسية والرياضية والاجتماعية وبالتفاصيل الشائقة، ومن الوفاء له ان ينشر الحوار للكشف عن الكثير من اسرار حياته.

× ماذا نقرأ في هوية احوالك المدنية؟

– نجم الدين بن محيي الدين بن محمد سليم السهروردي العباسي، مولود في بغداد، محلة جديد حسن باشا (الحيدرخانة) في ٢٦ ايلول / سبتمبر ١٩٢٠.

× ما معنى السهروردي؟

– الساهر بورده، عند جامع الشيخ عمر هناك مكان (الوردية) يقيمون فيه الذكر، هذا الاصل، وبعين الوقت هناك قرية في ايران اسمها (السهرورد)، جدهم الاكبر ابو بكر الصديق.

× ما الذي ظل لديك من الطفولة وتراه الان

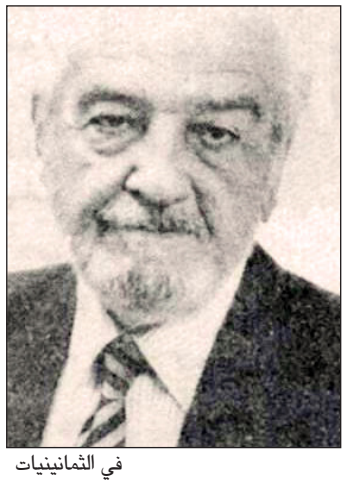
في الثمانينيات

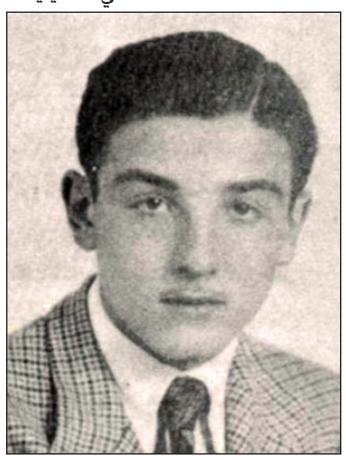
في شبابه

امام عينيك؟

– ارى بيتنا الذي كنا نعيش فيه، كان عندنا فيه بئر نستعملها للحوش (الفضوة داخل البيت)، أي للاستعمال الخارجي، وشجرة سرو (نبكة)، وما زلت ارى السقا الذي يأتينا بالماء ويملأ (الحبوب)، ثم الطيبة التي تشعرها مع كل الناس، كان هناك تفاعل غريب والاجواء التي يبدو لي ان المحلة كانت هي السبب في هذا النوع من التجمع البشري المنسجم اخلاقيا وتربويا ودينيا، مع انك ترى هناك المسلم والمسيحي واليهودي والسني والشيعي والارمني، وكيف هذا الانسجام بين اهل المنطقة الذي لايصدق، زائدا اطمئنانا وامانا وسلاما وحياة رتيبة، وشيء اخر من الاحتفال بالمناسبات الوطنية والدينية ونحن عائلة

مع رشيد عالي الكيلاني

دينية سهروردية وجدي متولي الشيخ عمر السهروردي..

× اين كانت دراستك الابتدائية واية ذكرى تحملها منها؟

– درست عام ١٩٢٤ في مدرسة (بابا كركر) وهي مدرسة دينية اولية تابعة للاوقاف، مكانها نفس المنطقة في محلة (التيل خانة) موقعها الان خلف المصرف العقاري،امضيت فيها سنة دراسية دينية، ثم انتقلت الى المأمونية عام ١٩٢٥ التي موقعها في منطقة الميدان، ثم انتقلت الى مدرسة (الامريكان) عام ١٩٢٨ (الصف الثالث) حتى اكون قويا في اللغة الانكليزية، ونصحني ابي ان ارجع الى الصف الثاني، ثم انتقلت الى مدرسة البارودية في محلة الطوب (الصف الرابع) ١٩٣١-١٩٣٢ ثم رجعت لمدرسة الامريكان (الصف الخامس) ثم رجعت الى المأمونية ٣٣-١٩٣٤.

× ما هذه مدرسة الامريكان؟

– مدرسة اهلية اجنبية تابعة لكنائس تبشيرية منهم اليعاقبة الذين اسسوا كلية بغداد عام ١٩٣٠ والذين مركزهم مشيغان في ديترويت!!.

× هل تذكر حوادث معينة حدثت في تلك السنوات؟

– هناك حدثت حادثتان ما زلت اذكرهما، الاولى : عام ١٩٢٧ حين جرى تبليط شارع الرشيد بالكونكريت المسلح اول مرة، كنا نتفرج لانه أول مرة يجري تبليط شارع، والثانية : حين مرت جنازة الشيخ ضاري وهي في طريقها الى المقبرة، وخلفه الناس تقول الهوسة المعروفة (هوسوا له.. قاتل لجمن)، كما اتذكر قضية الكشافة في الصف الثاني الابتدائي وكان هذا نظاما وللان مؤثر عليّ، فهو نظام دقيق وصارم، ومع الاعتياد انت تقبله، وفي كل مدرسة هناك غرفة خاصة بالكشافة وغرفة للرياضة وغرفة للرسم، لان المدرسة شيدت مدرسة بكل ما تعنيه الكلمة.

× ما فائدة الكشافة لتلاميذ مدارس ابتدائية؟

– التلميذ يستفيد منه كنظام : طاعة احترام، التزام بكل شيء، القيافة، النظافة، اداب الطريق، وكلها عوامل مهدت لكل ما جاء في ما بعد من مواقف وطنية وقومية ودينية تجاه الاعتداءات التي حدثت ضد العراق والامة العربية.

× اين كانت دراستك المتوسطة واية ذكرى تحملها منها؟

– في (المتوسطة الغربية) التي كانت افضل مدرسة في العراق من جميع النواحي، فيها نشاطات فنية داخلية وخارجية واعمال يدوية، وفيها ساحات كبيرة وفيها ساحة تنس، ولكن ارضها (نزيزة)، واهم حادث اتذكره هو انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦، ولقاء بطل العالم بالمصارعة الهر كرومر مع الحاج عباس الديك، وما اذكره ايضا.. كانت هناك مباراة بكرة السلة بين فريقي المدرسة الغربية ومتوسطة الشرقية، ولم اكن مشاركا فيها بسبب وجود ورم في وجهي، وبعد مضي وقت من المباراة كان فريقنا خاسرا، فجاءني مدرس الرياضة وطلب مني ان ألعب، فلعبت فحققت التعادل ثم الفوز وأخذنا الكأس، أول مرة، وربما لاخر مرة يقام احتفال كبير تسبب في فوز مدرسته شارك فيه مدير عام وزارة المعارف وألقيت فيه قصائد وخطب تشيد بالموقف والانتماء والتضحية التي كنت عليها، ومن الطريف انه وبعد اسبوع شكاني معلم الرياضة الى مدير المدرسة على انني كنت سببا في تفوق الفريق الخصم، وانني كنت (اتمضحك)!!، فقلت للمدير: طيب.. لمن اقيم الحفل وعلى شرف من؟، على اثر هذا انتقلت الى مدرسة (التفيض) الاهلية، وفي عام ١٩٣٨ ذهبت الى بيروت لانتسب الى الجامعة الامريكية بسبب مرض اصبت به ونصحني الاطباء بتغيير الجو، وبقيت هناك حتى نشوب الحرب العالمية الثانية، اذ عدت الى بغداد

× والثانوية.. اين كانت؟

– بعد عودتي الى بغداد لاكمال دراستي، حدثت ثورة رشيد عالي الكيلاني، فتقدمت للدراسة في (روبرت كوليج) في استنبول لدراسة الهندسة، وسافرت بعد احتلال الانكليز للعراق الى استنبول والتحقت بالدراسة وامضيت فصلا كاملا، ثم ألتحقت بالسيد رشيد عالي رئيس حكومة الدفاع الوطني عام ١٩٤١ في المنفى بألمانيا، ثم

- فريد الاطرش كان يقول لي (اللّه.. لسه بتحب من غير امل)

ألتحقت بالفيلق العربي متطوعا مع رفاق واصدقاء عراقيين، اذ كان مركز التدريب في ضواحي اثينا باليونان، ولأختلاف في المبدأ ألقى الالمان القبض علينا واودعونا السجن لاننا رفضنا التوقيع على استمارة جاء فيها: (اني الموقع ادناه التحق بالجيش الالماني..) بينما الاصح (بالفيلق العربي) الذي يرأسه السيد رشيد عالي، ثم رحلنا الى برلين اذ ألتقيت الكيلاني وأوضحت له ما حدث، فاستدعيت للتحقيق معي من قبل الجهات الالمانية (ممثلين من وزارة الخارجية ووزارة الدفاع)، وعلى اثر هذا اعتذر رشيد عالي من مهمة هذا التنظيم لعدم التزام الطرف الالماني بالاتفاق.

× وهل تركت الدراسة ام ماذا عملت؟

– التحقت بجامعة برلين ثم انتقلت الى كلية الهندسة في (درسدن) عام ١٩٤٢، ثم غيرت دراستي الى التربية بسبب الغارات الجوية المكثفة وكي لا احضر يوميا، وبعد سنتين انتقلت الى مدينة (انسبروك) التي اصبحت (النمسا) فيما بعد، بعد ذلك تقرر ترحيلنا الى الشرق العربي وفي اثناء مرورنا بالقطاع البريطاني القى القبض علينا، وكنا مجموعة من العراقيين منهم سيد كامل كيلاني شقيق رشيد عالي، واحمد سلمان اخو الشهيد محمد سلمان والسيد محمد بن الشريف شرف الذي كان وصيا على عرش العراق، وقضينا سبعة اشهر في معتقلات بريطانيا في المانيا، الى ان صدر قرار بترحيلنا الى بغداد بدون علمنا على اننا (مجرمو حرب)، فأرسلونا الى السجن في (كلادن فورت) عاصمة كرنثيا التي هي ولاية في النمسا، والطريف انني في سجن (فيدراون) بالنمسا اصدرت جريدة عنوانها (القيود) نسخة واحدة واصدرت منها سبعة اعداد، ولكنها انقطعت بسبب خلاف بين قراء السجن العربي الذين كان عددهم ١٧ شخصا، ثم نقلونا الى سجن (باري) في ايطاليا، ثم الى سجن في اثينا حتى وصلنا الى سجن في اللد بفلسطين، وكنا نبقى في هذه السجون ما بين ٣–٤ ايام ثم يرحلوننا، وكانت بريطانيا تتبع معنا سياسة التجويع اذ نزل وزني الى ٢٦ كغم في سبعة اشهر !!، وانا بعمر ٢٦ عاما.

× واين كانت نهاية هذه الرحلة القاسية؟

– في شهر آب/ اغسطس عام ١٩٤٦ طرنا.. واذا بنا في مطار بغداد، وهناك ادخلوني مع نجدة الشواف وفرج الله وردي سجن السراي، وتوجه السيد كامل كيلاني ومحمد شريف الى ذويهم من المطار !!، وللحقيقة كان استقبالا رائعا يدل على احترام المسؤولين والمواطنين لنا، احتراما فوق العادة،، وبعد ان اجري التحقيق معنا في مديرية امن بغداد افرج عنا بكفالة.. مع منع السفر!!، واستقبلت في البيت استقبالا كبيرا، الطريق مقطوع، وكل المحلة طالعة، تعال وتفرج، شيء بهيج، فعلا يجعل الانسان الملتزم ذا قيمة.

× بعد هذه المعاناة.. كيف واين اكملت دراستك؟

– قدمت طلبا الى كلية الحقوق عام ١٩٤٦، واذا بي ارى الاستاذ عبد الهادي المختار مدير الاعدادية المركزية وقد افرج عنه بعد اربع سنوات في معتقل الفاو، واذا به يقدم اوراقه المدرسية لكلية الحقوق، هنا التقى الاستاذ والتلميذ !!، وبعد رفع منع السفر سافرت الى امريكا عام ١٩٤٧ وحصلت على الماجستير، وفي بداية عام ١٩٤٩ عدت الى بغداد.

×ما الالعاب الرياضية التي مارستها وما النتائج التي حققتها؟

– كل انواع الالعاب المنظمة التي هي الالعاب الدولية مثل الساحة والميدان وكرة السلة والملاكمة ولعبت للمنتخبات الوطنية، احرزت في الملاكمة بطولة العراق المفتوحة عام ١٩٣٤، وفي الساحة والميدان كنت العب اكثر من عشرة العاب وافوز فيها، وبسببي تم تحديد نشاط المشاركة بثلاث العاب فقط لكل رياضي وكان ذلك عام ١٩٣٧ وهذا مخالف للقانون الدولي، وما زال القرار نافذ المفعول لان اذ ان العراق هو الوحيد الذي ما زال متمسكا بهذا القرار، وقد سجلت العديد من الارقام القياسية منها في سباق مئة متر عام ١٩٤٠ ووقته (١٠،٧) ثانية، وظل ١٨ سنة وللاسف لم يسجل بأسمي لانني احرزته في برلين مشاركا مع ناد الماني، وسجلت في مئة متر موانع (١٥،١) ثانية وظل قائما لمدة ١٧ سنة، وفي الطفر العريض سجلت (٦،٦٠) امتار بقي ١٨ سنة سجلته عام ١٩٥٧!!، اما الملاكمة فقد بدأتها عام ١٩٣٤ بشكل اصولي ومنازلات، اول منازلة كانت لاحراز بطولة العراق المفتوحة تحت رعاية الملك غازي الاول اجريت في الثكنة العسكرية الشمالية امام المتوسطة الغربية، وكان خصمي طيارا من القوة الجوية اسمه عبد الرزاق فغلبته واحرزت البطولة ثم استمررت وشاركت في بطولة العراق للمدارس وصارت منازلات واخذت بطولات حتى عام ١٩٤٠ حيث تأسس النادي الاولمبي الذي دعا الى اقامة بطولة لاحراز بطولة العراق للملاكمة وكان وزني الخفيف وكان هناك ٢٢ ملاكما في هذا الوزن وكان ضمن المتقدمين الاخ والصديق الوفي صديق العمر محمد صالح البياتي السفير الاسبق في عمان، وهو الامر الذي ادى الى انسحاب ٢٠ لاعبا ما عداي ومحمد مما ادى الى الغاء البطولة.

× متى كان اول تعيين وظيفي لك؟

– عام ١٩٥١ تعينت ملاحظا في مديرية العمل والشؤون الاجتماعية، قسم العمل الدولي الذي يرتبط بسويسرا،ثم عينت مدرسا بدار المعلمين الابتدائية في الاعظمية عام ١٩٥٢، وبعد عام فصلت بعد ان اعتبرت مستقيلا بسبب ترشيحي للانتخابات النيابية ضد شقيق المرحومين خليل كنه وزير المعارف انذاك وعبد الكريم كنه، وأقمت حينها دعوى قضائية ضد الوزير اضافة الى وظيفته، والطريف انني حصلت على حكم المحكمة بعد (٢٠) سنة اي عام ١٩٧١، ومن الطريف ايضا ان محكمة المهداوي حكمت على خليل بـ (٣٥٠) سنة سجن!!، ومن الطريف ايضا انني كنت اول من يقوم بواسطة في ثورة ١٤ تموز لخليل كنه عند عبد الكريم قاسم، فأمضى خليل سنة في السجن وبعدها سمح له بالسفر الى النمسا ثم اقام في مصر!!.

× ما المحطات المهمة في حياتك وتتوقف عندها دائما؟

– الحرب العالمية الثانية، اذ كنت ذاهبا الى الجامعة الامريكية في بيروت استعدادا للالتحاق بالجامعة في امريكا، لكن نشوب الحرب جعلني اضطر الى العودة الى بغداد، وما ان قام الصراع بين العراق والانكليز تغير الاتجاه فذهبت الى استنبول، وبعد ذلك اصبحت في ألمانيا، واصبحت هذه نقطة تحول في حياتي، ونقطة التحول الثانية كانت عام ١٩٤٢ اذ كنت مع صديق ننزل في (بنسيون) خاص تابع لوزارة الخارجية الالمانية، وذات مساء دعا صديقي امرأتين الى غرفته، فأعترضت مسؤولة الفندق.. ثم طردتنا، فأضطررنا الى الانتقال الى نزل اخر، تلك الليلة وقعت غارة جوية، علمنا في اليوم التالي ان المكان الذي كنا فيه قد قصف ودمر تماما (سبحان الله..) قلت لصاحبي حينها: (نحن لا نموت!!).

× من اشهر شخصية رياضية قابلتها؟

– ايفري برونـدج، رئيس اللجنة الاولمبية الدولية عام ١٩٧١ وخلفه سامرانش، اما الرياضيون فأشهرهم جاك دامبسي بطل العالم للملاكمة في الوزن الثقيل، قابلته عام ١٩٤٧ في ديترويت وهو الذي كنت اتبع اسلوبه في التدريب، وقد عاتبته حول قبوله ان يكون محكما في المصارعة الحرة للمحترفين لانه لم يكن بحاجة اليها وهو على علم انها لم تكن مصارعة جادة، بل تمثيل في تمثيل، فكان جوابه لي (بزنس أند بزنس)!!.

× على ذكر هذه المصارعة، ما سر خلافك مع المصارع عدنان القيسي؟

– كلها (قشمريات)،لانها ليست رياضة، وقد اقيمت ضدي ثماني دعاوى لاعتراضي على عدنان القيسي، مع العلم انه كان مصارعا فذا، فهذه المصارعة مشينة بالاخلاق والتصارع فيها يكون من اللهو الواطي، للمصارعة قدسيتها وهؤلاء خرجوا على هذه المعايير وخرجوا على المباديء الاولمبية، انها عمل تجاري يتم بالاتفاق المسبق للفائز والخاسر وهناك تدريبات خاصة مع مسكات مختلفة معينة يتدربون عليها لذلك تراها حقيقية، واعتراضي عليها لاعتبارها مصارعة حرة عالمية وفيها احراز لبطولة العالم في حين لم يكن لهذا النمط اية صلة مع ماهو معمول به في الالعاب الاولمبية.

× الهاتف؟ هل تذكر رقم هاتفكم حين ذاك؟

– نعم رقمه واحد (١) في بغداد وبأسم الحاج محيي الدين السهروردي، كان ذلك عام ١٩٢٧، وللعلم حتى الاربعينيات كانت ارقام الهاتف من ثلاثة ارقام فقط.

× اي الفنون تستهويك اكثر؟

– بدأت مع البيانو والعود في البيت ومع المقام العراقي الذي ماكان غيره عام ١٩٢٦ ولدينا اسطوانات لسيد درويش واغان تركية، وكان عندنا (غرامافون) في البيت (ابو البوري) والى الان لا استطيع ان انام بدون الموسيقى، بقيت مستمعا، كان وقتي مزدحما، انا اكبر اخوتي التسعة وانا ادرسهم و (اقريهم) ثم استهوتني الاوبرا عبر فيلم سينمائي لجوهان شتراوس في سينما الوطني عام ١٩٣٦، فأشتريت الاسطوانات الكلاسيكية والموسيقى الغربية، من (فكتور) امام باب السينما، مثل الرمبا والفوكس ستروت والفالس والتانغو.

× ألم يخطر في بالك احتراف الفن؟

– جاء الفن على بالي كثيرا، ما عدا الرسم، وقد مثلت على مسرح المدرسة الغربية عام ١٩٣٦ مع حافظ الدروبي ومحمد عباس مسرحية (في سبيل التاج) لكنني كنت اعد التمثيل عيبا!!، ومع حقي الشبلي عملنا فيلم (يوم لن انساه) لمدة ٢٢ دقيقة عن كلية التربية الرياضية واهدافها وغاياتها عام ١٩٦٥، واذكر انني ذهبت مع ابراهيم جلال عام ١٩٤٦ الى ستوديو الاهرام كان عنده دور في فيلم (بغداد – قاهرة)، دخلت معه فحسبوا انني الممثل، كانوا يحسبون انني انور وجدي، وللعلم حتى الرياضة كان يقال عنها هذا، واذكر سنة ١٩٣٩ كان عمي السيد صالح السهرودي مدير اوقاف الحلة، فألتقيته في الشارع، في باب المعظم، وكان يعاتبني لممارستي الالعاب الرياضية وانا ارتدي (الشورت) واتقافز امام الناس، قلت له: رياضة، قال: انظر.. هذا وقت رياضة، وهو يشير الى عمامته، ولكن جرت بطولات في ذلك الاسبوع وحققتها وأذيعت في الراديو، واذا به يحدثني عبر الهاتف من الحلة ويسألني ان استمر باللعب لان الناس راحوا يباركون له.

× هل لديك علاقات مع فنانين؟

– نعم كثيرة، مع الموسيقار محمد القصبجي وسيد يوسف امين عام المعهد العربي للموسيقى (افضل من نقل القرآن الكريم الى الانكليزية عام ١٩٦١) ومحمد عبد المطلب وفريد الاطرش الذي كنا نسهر معا، وليلى طاهر كنت التقيها عن طريق فريد هي وزوجها المخرج المعروف، كذلك سامية جمال التي كانت تعزمني على (خوش عشاء) مع فريد الاطرش واخرين.

كنت ذاهبا الى الجامعة الامريكية في بيروت استعدادا للالتحاق بالجامعة في امريكا، لكن نشوب الحرب جعلني اضطر الى العودة الى بغداد، وما ان قام الصراع بين العراق والانكليز تغير الاتجاه فذهبت الى استنبول، وبعد ذلك اصبحت في ألمانيا، واصبحت هذه نقطة تحول في حياتي، ونقطة التحول الثانية كانت عام 1942 اذ كنت مع صديق ننزل في (بنسيون) خاص تابع لوزارة الخارجية الالمانية، وذات مساء دعا صديقي امرأتين الى غرفته، فأعترضت مسؤولة الفندق..

اخر صورة للسهروردي

- في المانيا.. قصف الفندق ولم أمت!!
- انشأت اول كلية تربية رياضية متخصصة في الوطن العربي
- في مدينة درسدوف رأيت الجحيم بعينه
- كنت (دون جوان) زماني
- اقيمت ضدي ثماني دعاوى لاعتراضي على عدنان القيسي

اللقاء الاخير مع ناظم الغزالي

فيصل الياسري

××××

كان عام ١٩٦٣ جليلا وفاجعا بالنسبة لناظم الغزالي ، ففي هذا العام استطاع عن طريق المصادفة وان يسجل معظم اغانيه تلفزيونيا في الكويت ، قبل ان تنتهي حياته القصيرة (كان عمره ٤٢ سنة فقط) عندما قطعت اذاعة بغداد برامجها يوم ٢١ /١٠/١٩٦٣ لتعلن خبر وفاة ناظم الغزالي العائد قبل يوم برا من بيروت ! فرددت شوارع بغداد (مات ناظم الغزالي) واندفعت الحشود لتشيعه بحزن عميق تشهد على ذلك اللقطات الوثائقية التلفزيونية المتوفرة !!

في ذلك العام التقيت بناظم الغزالي ، قبل وفاته بأسابيع ، كان في جولة اوروبية قادته الى فيينا ، وكنا نلتقي في مقهى ممر الاوبرا ، كان يجلس هناك مع زوجته الفنانة سليمة مراد ، او سليمة باشا كما كانت شهرتها (ويقال ان هذا اللقب منحه اياها الملك فيصل الاول) كانت تكبره بعشرين سنة ، وتتعامل معه بغيرة شديدة متعبة لهومع ذلك كان يتعامل معها بلطف وهدوء (امامنا في الاقل) ولا تثنيه تعليقاتها واعتراضاتها عن متابعة الحسان بنظراته وهو يعبث بطرف ربطة عنقه الفاقعة الالوان !

عرفت الغزالي رقيق الكلمة، حلو الابتسامة، قليل الكلام يتحدث عن زملائه الفنانين باحترام، واستطيع ان اقول عنه انه خجول خاصة امام النساء ، بينما يتسم بالشجاعة أمام الجمهور سواء على المسرح أو في الحفلات الخاصة!!

لقد كان ناظم الغزالي شديد الاعتناء بهندامه ومظهره ، وهذا واضح على ما لدينا من تصوير لأغانيه !! وكان يسره ان يتفرج على واجهات الملابس الرجالية ، ولم يكن يميل الى ملابس السبورت وكان بالرغم من موسم الصيف في فيينا يحرص على ارتداء البدلة الكاملة ولا يستغني عن ربطة العنق ..

وفي احد الايام اطل علينا بسترة بيضاء زينها بمنديل كبير في جيب الصدر يتناسب مع ربطة العنق العريضة ، وقال بصراحة وعفوية انه منذ طفولته كان يحلم بسترة بيضاء مثل تلك التي كان يتباهى بها جار لهم في محلة الحيدرخانة ببغداد !

هناك كانت ولادة ناظم الغزالي عام ١٩٢١ لعائلة فقيرة ، توفي ابوه مبكرا فربته امه الضريرة وكانت تسكن في غرفة متواضعة عند شقيقتها في منطقة "الحيدرخانة"، اكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة، في المدرسة المأمونية، بصعوبة وكان الفقر ملازمًا له ويقول ان امه كان عليها ان تدبر عيشتهم بدخل لا يتجاوز الدينار والنصف شهريا ، وبعد وفاتها تكفله خاله الفقير مثلهم !!

في احدى جلسات الدردشة والسمر قال لي ناظم الغزالي (تدري اني بدأت حياتي ممثلا.. حتى اني درست التمثيل بالمعهد !! وكان استاذي حقي الشبلي !! بس الحاجة والعيشة خلتني اترك الفن واشتغل بمعمل للطحين !!)

أبعدته الظروف عن المعهد، لكنها لم تمنعه من استمرار اهتمامه بالفن والثقافة وحفظ اغاني كبار مطربي ذلك الوقت !!

لم اكتشف في ذلك اللقاء فقط ان بداية ناظم الغزالي كان ممثلا بل اكتشفت ايضا انه كان كاتبا مثقفا حيث نشر عام ١٩٥٢ سلسلة من المقالات في مجلة "النديم" تحت عنوان "أشهر المغنين العرب " (وقد قرأت للكاتب ماجد حبته ان ناظم الغزالي اصدر كتابا بعنوان (طبقات العازفين والموسيقيين) وقد حاولت العثور فيما بعد على نسخة من هذا الكتاب فلم اجده ولا حتى على ارصفة شارع المتنبي)

عاد ناظم الغزالي إلى معهد الفنون الجميلة لإكمال دراسته، فيضمه حقي الشبلي إلى فرقة "الزبانية" ويشركه في مسرحية "مجنون ليلى" لأحمد شوقي، وعلى المسرح قدم الغزالي اول اغنية له(هلا هلا) والطريف انها كانت من تلحن حقي الشبلي ، وكانت هذه الاغنية هي سبب دخوله الى الاذاعة وترك التمثيل واحتراف الغناء اما ثاني اغانيه فكانت من تلحين وديع خونده ومطلعها (وين الكه الراح مني وأنا المضيع ذهب.. وراحت السلة من إيدي وراح وياها العنب.) وترجمتها لمن لا يفهم العامية العراقية : (اين اجد الذي فقدتهوهو من ذهب .. ولقد ذهبت السلة من يدي ومعها ذهب العنب)

بعد هاتين الاغنيتين انظم بين عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨ إلىفرقة الموشحات بإشراف الموسيقار الشيخ علي الدرويش ،ويقول خبراء الغناء في العراق ان الفضل يعود الى ناظم الغزالي في تطوير الاغنية العراقية التي شهدت قفزة نوعية مع مطلع الخمسينيات في غالبية مقاييس الغناء العراقي ومواصفاته ، حيث ظهرت الاغنية العراقية المتكاملة الموزعة والمتماسكة والتي يرجع له فضل انتشارها في العالم العربيرغم خروجها من بيئة ذات طبيعة شديدة الخصوصية، بفعل اداء ناظم الغزالي غير التقليدي، ليجعل منها أغنية عذبة سهلة التداول والحفظ.

وما زال الناس يرددون حتى الان اغاني "طالعة من بيت أبوها"، و"ما اريده لغلوبي"، و"فوق النخل فوق"، و"يم العيون السود".. وجميع هذه الاغاني كتبها جبوري النجار، ولحنها ناظم نعيم، ووزعها جميل بشير، ويعود الفضل في حفظها إلى شركة "جقماقجي" التي بدأت منذ منتصف خمسينيات القرن الماضي في تسجيل أسطوانات كبار المطربين والمطربات العراقيين ،

قلت ان عام ١٩٦٣ كان حافلا بالنسبة لناظم الغزالي ، ممتلئا بالنشاط وكأنه كان يعرف انه عامه الاخير .. كانت فيينا بالنسبة له محطة استراحة ، وكانت زوجته سليمة باشا تطلب منه ان يؤجل بعض مشاريعه ، كانت تعامله كما تعامل الام ابنها ، ولكنها معاملة لا تخلو من بعض الخشونة .. لا تخلو من بعض سلطة الزوجة التقليدية !!.

وفي فيينا احتفلنا معهما بمناسبة الذكرى العاشرة لزواجهما ، وعلمنا يومها انهما تعرفا على بعضهما عام ١٩٥٢ في احدى السهرات الغنائية التي كانت تقام في بيوت بغداد الراقية ،..وكان معجبا بأداء سليمة مراد التي كانت تمتلك صوتا ساحرا وقابلية مدهشة في أداء الأغاني التراثية ويقال انها كانت معلمته في حفظ الوان الغناء العراقي وخصوصا المقامات والبستات !!وقد اقترن بها ناظم الغزالي عام ١٩٥٣ومن خلالها استطاع التعرف على الطبقة الأرستقراطية البغدادية المحبة لحفلات الغناء.. وأصبح ناظم وسليمة الثنائي الغنائي المحبوب والمتألق دائما في جميع الحفلات العامة والخاصة وأصبح بيتهما صالونا فنيا أدبيا يلتقي فيه الشعراء والفنانون !!

كان على ناظم الغزالي ان يسافر الى بيروت لتصوير مشاهده في فيلم (مرحبا ايها الحب) مع نجاح سلام حيث غنى (يا ام العيون السود)

بسبب هاتين المناسبتين ، ذكرى الزواج والسفر الى بيروت ، وافق ناظم الغزالي على تنظيم سهرة سمر خاصة ضمت عددا من الاصدقاء العرب في فيينا أنشد فيها – بعد الحاح شديد وبمرافقة احد هواة العزف على العودوطبيب مصري كان يحسن مسك الايقاع – انشد من تراثه العراقي وأسعده ان يجد الضيوف العرب يطلبون منه اغاني معينة يعرفونها منه – في ذلك الزمان لم يكن التلفزيون قد انتشر ليشهر المطربين ، ولا الفيديو كاسيتولا حتى الكاسيت الصوتي العادي –وغنى بلغة عربية سليمة أروع القصائد العربية التي تدل على معرفة واطلاع واسعين.

غنى لأبي فراس الحمداني: "أقول وقد ناحت بقربي حمامة"، وللبهاء زهير "يا من لعبت به شمول"، ولإيليا أبي ماضي: "أي شيء في العيد أهدي إليك" وللمتنبي: "يا أعدل الناس"، وللعباس بن الأحنف "يا أيها الرجل المعذب نفسه"!!

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي : يونس الخطيب